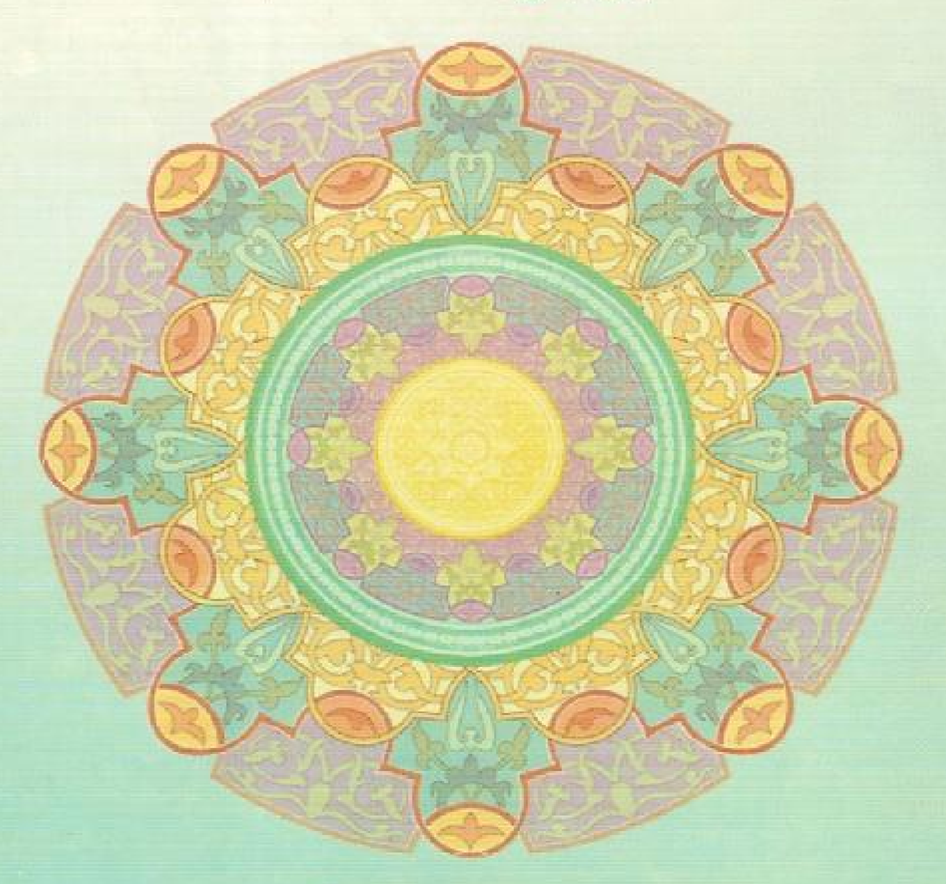
ماذا يعنى انتمائى لأهل السنة والجماعة

كتبه أبو عبد الرحمن
عادل بن يوسف العزازى



مؤسسة قرطبة
٧٧٩٥٠٢٧

ماذا يعني انتمائي لأهل السنة والجماعة

كتبــه

أبو عبد الرحمن

عادل بن يوسف العزازي

النـاشـر

مؤسسة قرطبة

ت : ٧٧٩٥٠٢٧ - ٥٨٨٣١١٧

رقم الإيداع : ١٨٦١٩/٢٠٠٢

الترقيم الدولي : 3 - 91 - 5234 - 477

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

إن الحمدَ للَّهِ نَحمَدُه ونَستَعِينُه ونَستَغفِرُه ، ونَعوذُ باللَّهِ من شرورِ أنفسِنا ، ومِن سيئاتِ أعمالِنا ، مَن يَهدِه اللَّهُ فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له . وأشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شَريكَ له ، وأشهَدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ﷺ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء : ١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب : ٧٠، ٧١] .

أما بعدُ : فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أما بعدُ : فإن أشرف العلوم التي ينبغي للعبد أن يصرف إليها همته ، وينفق فيها ولأجلها أوقاته ، ويبذل لها أنفاسه : أن يتعلم علم العقيدة ، الذي من خلاله يصح إيمانه ، ويسير على الصراط المستقيم الذي كان عليه سلف الأمة الكرام رضوان الله عليهم ، فيسلك سبيل النجاة ؛ إذ لا نجاة له إلا باقتفاء آثارهم ،

والنهل من معينهم الصافي ، والركوب في سفينتهم ، وأما من خالفهم فقد ألقى بنفسه في التهلكة ، وأردى بعمله إلى الهاوية ، وعاش يتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

ولقد حذّر النبي ﷺ الأمة من أهل البدع وتشعبهم فقال ﷺ : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » . قالوا : مَن هم يا رسول الله ؟ قال : « هم ما أنا عليه اليوم وأصحابي »[1] .

ولقد سألني بعض الإخوان أن أكتب مختصرًا في عقيدة أهل السنة والجماعة ، علمًا بأنه قد صُنِّفت كتبًا كثيرة تُفصِّل منهجهم وترد على شبهات المخالفين ، لكني رأيت أن أُلخِّصَ ما ذكره العلماء في كتبهم بأسلوب سهل وعبارة سلسة ، تعين المبتدئ ، وتقرب إليه هذا العلم الشريف بأوجز عبارة ، وسميته : « **ماذا يعني انتمائي لأهل السنة والجماعة** » ، مستدلًّا بالآيات والأحاديث الصحيحة ، كما هو منهجي في كتبي - ولله الحمد والمنّة - .

ولا يعني ذلك أن الطالب يكتفي بهذه الورقات ، فهي في غاية الاختصار ، بل لابد أن يُطالع بعد دراسة هذا الكتاب ما كتبه الأئمة ، وسطّره العلماء ، لتزداد لديه الحجة ، ويقوى له البرهان ، ويحسن عنده البيان ، فتقوى شوكته ، ويلبس لأْمَته فيكون شاكي السلاح يدافع عن عقيدة السلف ، ويرفع رايتهم ، ويقطع دابر أهل الزيغ والضلال ، فلعمر الله إن ذلك لهو أعظم القربات ، وأرفع الجهاد ،

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود (٤٥٩٦) ، والترمذي (٢٦٤٠) ، وابن ماجه (٣٩٩١) ، وأحمد (٢/ ٣٣٢) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٠٩٣) ، وفي الصحيحة (٢٠٣) .

وأزكى الحسنات ، ولِمَ لا ؟ ولولا ذلك ما عرف أحدٌ اللَّه حق معترفه ، وما قدره حق قدره ، لذا فعلى الراغب في الزيادة ، السالك طريق الآخرة أن يطوف حول هذه الكُتب ، ويغوص في أعماقها ، ويطلب دررها ، وفي مقدمة هذه الكُتب أذكر أسماء بعضها ، فمن ذلك :

* « فتح المجيد شرح كتاب التوحيد » : للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تأليف : الشيخ محمد بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب .
* « العقيدة الواسطية » : لشيخ الإسلام ابن تيمية .
* « معارج القبول شرح سلم الوصول » : للشيخ حافظ أحمد حكمي .
* « الثمرات الزكيّة في العقائد السلفية » : للشيخ أحمد فريد .
* « عقيدة المؤمن » : للشيخ أبي بكر الجزائري .
* « العقيدة في ضوء الكتاب والسنة » : للدكتور عمر الأشقر .
* « شرح العقيدة الطحاوية » : لابن أبي العز .

وغير ذلك من كُتب علماء السلف قديمًا وحديثًا .

واللَّه أسأل أن ينفع القارئ لهذه الرسالة المختصرة ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه ، وأن ينفعني به يوم المعاد ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ، إلا من أتى اللَّه بقلب سليم . والحمد للَّه أولًا وآخرًا ، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على عبدك ونبيك محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

أبو عبد الرحمن

عادل بن يوسف العزازي

١١ من شعبان سنة ١٤٢٣ هـ

١٧ أكتوبر سنة ٢٠٠٢م

الحكمة من خلق الخلق

اعلم - أرشدك الله - أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق من خلقه شيئًا عبثًا ولا سُدىً . قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص : ٢٧] .

وقد وبَّخ الله المشركين الذين لا يعبدون الله تعالى ؛ فقال : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .

يعني : أظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا حكمة ، وقيل : أظننتم أنكم خلقتم للعبث واللعب ، لا ثواب ولا عقاب ، ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ، ثم نزّه سبحانه نفسه عن ظنهم هذا فقال : ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي : تقدس أن يخلق شيئًا عبثًا ، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ .

وقال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة : ٣٦] . قال السُّدّي : أي : لا يبعث ؟ ! ، وقال الشافعي ومجاهد وابن زيد : يعني : لا يؤمر ولا ينهى ؟ !

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (والظاهر أن الآية تعمُّ الحالين ، أي : ليس يُترك في هذه الدنيا مُهملًا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك في قبره سُدًى لا يُبعث ، بل هو مأمور منهي في الدنيا ، محشورٌ إلى الله في الآخرة)(١) .

وقد أوضح الله الحكمة من خلق الإنسان أوضح بيان فقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٨٠) .

فتبين من ذلك أن الحكمة من خلقه هي القيام لله بحق العبودية.

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:

اعلم بأن الله جلّ وعلا لم يترك الخلق سُدى وهملا
بل خلق الخلق ليعبدوه وبالإلهية يفردوه

ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، يقال طريق معبّد، أي: مذلل.

ومعناها في الشرع -: كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -: (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)[1]. اهـ.

وجماع العبادة: كمال الحب لله عز وجل مع كمال الذل له سبحانه.

* * *

الميثاق الذي أخذه الله على العباد:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

وقد اختلف العلماء في حقيقة هذا الميثاق على قولين:

القول الأول: أنه على ظاهره كما ورد في الآية:

وذلك بأن الله كلّمهم، وكلّموه، وأخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم، ويؤيد هذا ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلّمهم قُبُلًا: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩)، والعبودية (١/٣).

ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ »[١] .

ومعنى قُبلًا : أي مواجهة .

القول الثاني : أنه ميثاق الفطرة :

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ : « وذهب طائفة من السلف والخلف إلى أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة – وفي رواية على هذه الملة – فأبواه يُهوِّدانه ويُنصِّرانه ويُمجِّسانه ؛ كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء »[٢] .

و« الجمعاء » : الكاملة الخلقة ، و« الجدعاء » : مقطوعة الأنف .

وعلى هذا التقرير فيكون معنى الآية : أن الله أوجدهم شاهدين بذلك قائلين بلسان حالهم لا بالمقال [لأن الشهادة تكون بالحال كما تكون بالقول كقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة : ١٧] . أي : حالهم شاهد بذلك][٣] .

الجمع بين القولين :

قال الشيخ حافظ أحمد حكمي رَحِمَهُ اللهُ **في كتابه « معارج القبول »** : (ليس بين التفسيرين منافاة ، ولا مضادة ، ولا معارضة ؛ فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسنة :

---

(١) رواه أحمد (١/٢٧٢) ، والنسائي (١٣٥٨) ، والنسائي في الكبرى (٦/٣٤٧) ، والحاكم (٢/٥٩٣) وقال : صحيح الإسناد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٠١) .

(٢) رواه البخاري (١٣٥٨) (١٣٨٥) ، ومسلم (٢٦٥٨) .

(٣) ابن كثير (٢/٣٤٧) .

الأول : الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام ، وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ الآيات ، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات ، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما .

الثاني : ميثاق الفطرة وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول ، كما قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم : ٣٠] ، وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار والأسود بن سريع رضي الله عنهم[1] ، وغيرها من الأحاديث في الصحيحين .

الثالث : هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب تجديدًا للميثاق الأول وتذكيرًا به ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء : ١٦٥] . فمن أدرك هذا الميثاق وهو باقٍ على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يَقْبل ذلك من أول مرة ولا يتوقف ، لأنه جاء موافقًا لما في فطرته وما جبله الله عليه ؛ فيزداد بذلك يقينه ، ويقوى إيمانه ، فلا يتلعثم ، ولا يتردد .

ومن أدركه وقد تغيرت فطرته عمّا جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه وهوّده أبواه ، أو نصّراه ، أو مجساه فهذا إن تداركه الله برحمته فرجع إلى فطرته وصدّق بما جاءت به الرسل

---

(١) حديث أبي هريرة تقدم ، وحديث عياض بن حمار رواه مسلم ، وفيه قال تعالى : «إني خلقت عبادي حنفاء ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » ، وحديث الأسود بن سريع ، رواه الطبري (٩/٧٧) ، وأحمد (٤/٤٤) وفيه قول النبي ﷺ : « ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة ... » وإسناده صحيح .

ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول والثاني ، وإن كذب بهذا الميثاق كان مكذبًا بالأول والثاني فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه .

ومن لم يدرك هذا الميثاق بأن مات صغيرًا قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة ، فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم ، وإن كان من أولاد المشركين فالله أعلم بما كانوا عاملين)[١] اهـ .

قلت : فعلى هذا فإن الله ﷻ - برحمته - لم يؤاخذ الخلق بمجرد الميثاق الأول ، وإن كان وحده يكفي في إقامة الحجة عليهم ، لكنه لا يؤاخذهم حتى يرسل الرسل ، ويقيم عليهم الحجة بهم ، ولذلك قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ، وسوف نسوق بإذن الله تعالى ما يتعلق بأصول الإيمان التي ينبغي للمسلم أن يكون على إلمام بها وهي ستة : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والإيمان القدر .

❋ ❋ ❋

---

(١) معارج القبول (١/ ٩٢، ٩٣) .



أولًا : الإيمان بالله ﷻ
وهو توحيد الله ﷻ

الإيمان بالله ﷻ هو أساس الإيمان ، وهو أول واجب وأول أصل من أصول الإيمان . وهذا التوحيد ينقسم إلى قسمين :

الأول : التوحيد العلمي الاعتقادي : وهو يتضمن إثبات ذات الله ﷻ وأسمائه وصفاته ، وتنزيه الله عن التشبيه والتمثيل ، وهذا القسم من التوحيد ينقسم إلى قسمين :

(أ) توحيد الربوبية . (ب) توحيد الأسماء والصفات .

الثاني : التوحيد الطلبي القصدي : ومعناه صرف العبادة لله – تعالى – وحده ، وهذا التوحيد يسمى « توحيد الإلهية » .

وخلاصة ما تقدم : أن التوحيد ينقسم إلى : توحيد الربوبية – توحيد الأسماء والصفات – توحيد الإلهية .

وسوف نتناول هذه الأنواع الثلاثة بشيء من التفصيل مع عدم الإطالة :

الأول : توحيد الربوبية

وذلك يتضمن إثبات ذات الله ﷻ ، واعتقاد أنه سبحانه هو المالك الخالق المدبر السيد المتصرف في كونه لا يشاركه أحد في فعله سبحانه وتعالى .

(أ) فأما الأدلة على إثبات ذاته فكثيرة نذكر منها ما يلي :

أولًا : دلالة خلق الخلق :

قال تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي: من غير رب، ومعنى ذلك: هل خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق؟ هذا مستحيل، فوجودهم دليل على من أوجدهم ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أي: لأنفسهم؛ وهذا ما لا يدَّعيه أحد، وهو مستحيل لأنهم كانوا في العدم فكيف يمكن للمعدوم أن يخلق؟

سئل أحد الأعراب ما الدليل على وجود الله؟ فقال: سبحان الله! إن البعر يدل على البعير، وإن الأثر يدل على المسير؛ فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذاتُ فِجاج، وبحارٌ ذاتُ أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير[1].

ثانيًا: دلالة تدبير الكون:

فهذا الكون الذي يسير في إحكام وإبداع، لا يمكن أن يكون بهذا الإحكام إلا بوجود رب يدبر أمره. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. أي: إن هذه الأشياء دلالات واضحات على وحدانية الله عز وجل، فيعلمون أن لهذه الأشياء المنتظمة في الكون خالقًا خلقها ودبّرها وسخّرها.

ومن ذلك أيضًا قوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٨٨).

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٠ - ٢٥].

والآيات في ذلك كثيرة جدًا.

* * *

ثالثًا: دلالة احتياج العباد إلى الله عز وجل وحده لا شريك له:

وهذا ثابت في آيات كثيرة نذكر منها:

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٧٢].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك : ٢٠ - ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص : ٧١ - ٧٢] .

* * *

رابعًا : دليل الفطرة :

الفطرة الإنسانية تقر بوجود خالق خلقها تلجأ إليه ، وتستشعر الرهبة والرجاء إليه ، قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس : ٢٢] .

وقد تقدم في آية الميثاق ما يدل على أن الله فطر الناس على توحيده ﷻ .

* * *

خامسًا : دلالة المعجزات :

ومن الأدلة على وجود الله ما يؤيد الله به رسله من المعجزات .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (إن آيات الأنبياء التي تسمى « المعجزات » ويشاهدها الناس أو يسمعون بها برهان قاطع على وجود مرسلهم وهو الله تعالى ، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر)[١] .

* * *

(١) رسائل في العقيدة نقلًا عن الثمرات الزكية (ص٢٦) .

سادسًا : عدم إنكار أحد من الخلائق ربوبية الله :

ذكر الله تعالى في كتابه اعتراف المشركين جميعًا بربوبية خالقهم فقال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف : ٨٧] .

بل إن إبليس لم ينكر ربوبية الله ، وفي التنزيل قال - تعالى -: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص : ٧٥] ، فلم ينكر إبليس أن الله خلقه بل قال : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص : ٧٦] .

وأما من أنكر ربوبية الله فإنما أنكرها مكابرة ، وإلا فهو يعلم أنه كاذب في إنكاره كما قال - تعالى - عن هؤلاء : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل : ١٤] ، وقال الله - تعالى - حكاية عن موسى عليه السلام وهو يخاطب فرعون : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء : ١٠٢] والثبور : الهلاك .

ولذلك لما أنكر المشركون على المرسلين دعوتهم خاطبتهم الرسل بما هو مقرر في أذهانهم وفطرهم قال - تعالى -: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم : ١٠] .

* * *

سابعًا : أدلة الشرع :

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (وأما دلالة الشرع ، فلأن ما جاءت به الرسل من شرائع الله - تعالى - المتضمنة لجميع ما يصلح الخلق يدل على أن الذي أرسل بها رب رحيم حكيم ، ولا سيما هذا القرآن المجيد ، الذي أعجز البشر والجن أن يأتوا بمثله) .

* * *

(ب) وأما الأدلة على إثبات الربوبية لله ﷻ :

أعني إثبات أن الله – تعالى – لا يشاركه في فعله أحد ، فهو الخالق وحده ، وهو المالك وحده ، وهو المدبر لكل شيء وحده ، وبيان ذلك فيما يلي :

فأما دليل كونه الخالق :

قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان : ٢٥] ، وقال – تعالى –: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

فهذه الآيات تدل على أنه وحده الخالق المدبر .

وأما الدليل على أنه المالك :

فقوله تعالى : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى : ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ : ٢٢] .

وأما دليل التدبير :

فقوله تعالى : ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة : ٥] .

وقال تعالى : ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ : ٢٢] . ومعنى الظهير : النصير والمعين ، فليس لله ظهير يعينه على تدبير كونه .

وقال تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء : ٥٦] . وذلك لأنه لا يملك تدبير الأمور إلا الله سبحانه .

قال ابن أبي العز رحمه الله : (والمشهور عند أهل النظر إثباته – أي : وحدانية الرب ﷻ – بدليل التمانع ؛ وهو : أنه لو كان للعالم صانعان ، فعند اختلافهما

مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ، والآخر تسكينه ، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته ، فإما أن يحصل مرادهما ، أو مراد أحدهما ، أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين ، والثالث ممتنع لأنه يلزم منه خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع ، ويسلتزم أيضًا عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهًا ، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر ، والآخر عاجز لا يصلح للألوهية)[1] .

* * *

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٤) .



الثاني : توحيد الإلهية

وهو إفراد الله تعالى بالعبادة ، فلا يُعبد أحد سواه اعترافًا بحق الله تعالى على عباده .

قال تعالى : ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] .

وفي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل ﵁ قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال لي : « يا معاذ : أتدري ما حق الله تعالى على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله ﷻ أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا »(١) .

* وهذا التوحيد هو أول دعوة الرسل . قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

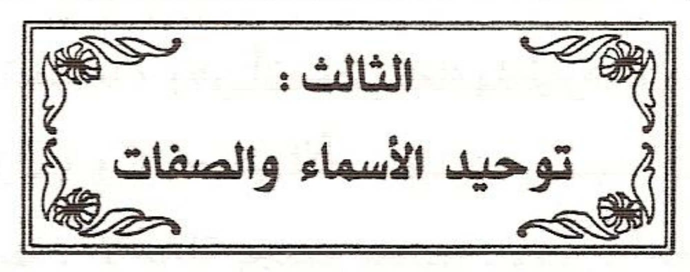
وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] .

وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »(٢) .

* * *

(١) **البخاري** (٢٨٥٦) (٥٩٦٧) (٧٣٧٣) ، **ومسلم** (٣٠) ، والترمذي (٢٦٤٣) ، وابن ماجه (٤٢٩٦) .

(٢) **البخاري** (١٤٠٠) (٢٩٤٦) ، **ومسلم** (٢١) ، وأبو داود (٢٦٤٠) ، والترمذي (٢٦٠٦) ، والنسائي (٦/٤) ، وابن ماجه (٧١) .



الثالث :
توحيد الأسماء والصفات

ومعنى الإيمان بأسمائه : الإيمان بكل اسم سمّى الله به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، والإيمان بما دل عليه هذا الاسم من معنى ، وما ترتب عليه من آثار ، وبهذا الإيمان يعرف الإنسان ربّه ، ويرتبط قلبه به محبةً وثناءً وتمجيدًا فتزكو النفوس ويزداد الإيمان ، ولذلك كان العلم بذلك من أشرف العلوم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إن للّه تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر »[1] .

واختلف العلماء في معنى قوله ﷺ : « من أحصاها » وقد جمعها ابن القيم ؛ فقال : مراتب الإحصاء ثلاثة :

الأولى : إحصاء ألفاظها وعدّها .

الثانية : فهم معانيها ومدلولها .

الثالثة : دعاؤه بها كما قال – تعالى –: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠][2] .

وقال الخطابي : (يحتمل وجوهًا :

أحدها : أن يعدّها حتى يستوفيها – بمعنى ألاّ يقتصر على بعضها – فيدعو الله بها كلها ، ويثني عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليه من الثواب .

وثانيها : المراد بالإحصاء الإطاقة ، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣٦) ، ومسلم (٢٦٧٧) .

(٢) بدائع الفوائد (١/١٦٤) .

الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بموجبها فإذا قال «الرزاق» وثق بالرزق، وكذا سائر الأسماء.

ثالثها : المراد بها : الإحاطة بجميع معانيها، وقيل : أحصاها عمل بها)[١].

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم، فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها، يعني فيما يقوم به، وما كان يخص به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف فيه عند الخشية والرهبة)[٢].

قلت : الذين ذهبوا إلى معنى «الإحصاء» هو العد والحفظ استدلوا بما ورد في رواية أخرى «من عدها».

وقد ورد في اللغة الإحصاء بمعنى : العد، وورد بمعنى : الحفظ، قال ابن منظور في «لسان العرب» : (الإحصاء : العد والحفظ وأحصى الشيء أحاط به وفي التنزيل : ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن : ٢٨] قال الأزهري : أي أحاط علمه سبحانه باستيفاء عدد كل شيء ... وقال الفراء في قوله تعالى : ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل : ٢٠] علم أن لن تحفظوا مواقيت الليل)[٣].

ولا تعارض بين ما ذكره العلماء كما ذكر ذلك ابن عطية فيما عزاه إليه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : (معنى أحصاها : عدّها وحفظها؛ ويتضمن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها، والرغبة فيها والاعتبار بمعانيها)[٤].

---

(١) معارج القبول (١/٧٠).

(٢) معارج القبول (١/٧٠).

(٣) لسان العرب (١٤/١٨٣).

(٤) فتح الباري (١١/٢٢٦).

مسائل وتنبيهات متعلقة بالأسماء الحسنى :

(١) أسماء الله الحسنى توقيفية ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة ، فليس لأحد أن يسميه بغير ما سمّى به نفسه .

قُلْتُ : وقد اشتهر بين الناس سرد الأسماء الحسنى الواردة في رواية الترمذي وابن ماجه ، وذكر هذه الأسماء ليست من كلام النبي ﷺ .

قال ابن حجر رحمه الله : (والتحقيق أن سردها من إدراج الرواة) .

وقال الصنعاني رحمه الله : (اتفق الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة) .

وقال ابن تيمية رحمه الله : (وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف)[1] .

وقد بيّن الدكتور / محمود عبد الرازق الأسماء الواردة في هاتين الروايتين وليست ثابتة ، أو لم توافق شروط الإحصاء لأسماء اللّه الحسنى ، أذكر منها على الأخص من رواية الترمذي لشهرتها ، وهي : (الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، العدل ، الجليل ، الباعث ، المحصي ، المبدئ ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الواجد ، الماجد ، الوالي ، المنتقم ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الرشيد ، الصبور) ، فهذه تسعة وعشرون اسمًا لا توافق شروط الإحصاء حسب ما استند إليها في كتابه (أسماء الله الحسنى) .

---

(١) هذه الأقوال نقلًا من كتاب (أسماء اللّه الحسنى) تأليف : د . محمود عبد الرازق (ص٩٧) ، وقد عزاها إليهم حسب الترتيب إلى بلوغ المرام لابن حجر ، وسبل السلام للصنعاني ، ودقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية .

(٢) ثم أورد - حفظه الله - ما أمكنه بعد الدراسة من سرد أسماء الله الحسنى حسب الضوابط والقواعد التي اجتهد في الاعتماد عليها مع بيان أدلتها من القرآن والسنة فهي كالتالي : (الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، السميع ، البصير ، **المولى** ، **النصير** ، العفو ، القدير ، اللطيف ، الخبير ، **الوتر** ، **الجميل** ، **الحيي** ، **الستير** ، الكبير ، المتعال ، الواحد ، القهار ، الحق ، المبين ، القوي ، المتين ، الحي ، القيوم ، العلي ، العظيم ، الشكور ، الحليم ، الواسع ، العليم ، التواب ، الحكيم ، الغني ، الكريم ، **الأحد** ، الصمد ، القريب ، المجيب ، الغفور ، الودود ، الولي ، الحميد ، الحفيظ ، المجيد ، الفتاح ، **الشهيد** ، المقدم ، المؤخر ، **المليك** ، **المقتدر** ، **المسعر** ، القابض ، الباسط ، **الرازق** ، القاهر ، **الديان** ، **الشاكر** ، **المنان** ، **القادر** ، **الخلّاق** ، المالك ، الرزاق ، الوكيل ، الرقيب ، **المحسن** ، **الحسيب** ، **الشافي** ، **الرفيق** ، **المعطي** ، المقيت ، **السيد** ، **الطيب** ، الحكم ، الأكرم ، البر ، الغفار ، الرءوف ، الوهاب ، **الجواد** ، **السبوح** ، **الوارث** ، **الرب** ، الأعلى ، **الإله**)[1] .

(٣) ينبغي للعبد أن يتوسل في دعائه إلى الله بأسمائه كما قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠] . وعلى السائل أن يتخير في كل سؤال الأسماء المناسبة له . كأن يقول مثلًا في طلب المغفرة : « اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » ولا يقول « إنك أنت الجبار المتكبر » لأن

---

(١) هذه هي الأسماء حسب اجتهاد الدكتور محمود عبد الرازق الرضواني ، هي أقرب ما اطلعت عليه من أبحاث العلماء ، والأسماء التي تحتها خط هي الأسماء المختلفة عن رواية الترمذي التي أشرت إليها في الصفحة السابقة .

ذلك لا يناسب مباشرة طلب الرحمة والمغفرة .

(٤) اعلم أن أسماء الله – تعالى – لا تنحصر في العدد الوارد في الحديث السابق بل هي أكثر من ذلك ، وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل العلم ، واتفق عليه العلماء ، ويؤيد ذلك ما ثبت في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حزنٌ فقال : اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ؛ سمّيت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علّمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حُزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله همّه وغمّه وأبدله مكانه فرحًا »[1] .

(٥) هناك فرق بين أسمائه – تعالى – ، وبين ما يُخبر به عنه سبحانه ، فباب الإخبار يُتَوسع فيه عن باب الأسماء .

قال ابن القيم رحمه رحمه الله : (ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته : كالشيء ، والموجود ، والقائم بنفسه فإنه يخبر به عنه ، ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العلى)[2] .

ومعنى ذلك أنه يخبر عن اللّه بالشيء كقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ، لكن لا يعني ذلك أن يسمّي اللّه : شيئًا ، وكذلك يخبر عن اللّه بأنه موجود ، لكن لا يُسمّى اللّه : الموجود ، وغير ذلك من الأخبار التي يُخبر بها عن اللّه ولا يُسمّى بها .

---

(١) رواه أحمد (١/٣٩١) ، وابن حبان (٩٧٢) بإسناد صحيح ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٩) .

(٢) بدائع الفوائد (١/١٦١) .

(٦) أسماء الله تعالى لا تشتق من أفعاله فلا يجوز مثلًا أن نسمِّي الله الكاتب : لقوله تعالى : ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام : ١٢] أو القاضي لقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر : ٢٠] ، ولا يسمى : المطعم الساقي لقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء : ٧٩] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدًا أن يشتق له منه اسم مطلق ، كما غلط بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى : المضل الفاتن الماكر – تعالى الله عن قولهم –)[١] .

(٧) أسماء الله « **حسنى** » فلا يجوز أن يُسمَّى باسم يوهم نقصًا أو ذمًّا وكذلك فإن صفاته صفات كمال لا نقص فيها .

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، وقال تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (صفات الله كلها صفات كمال محض ، فهو موصوف من الصفات بأكملها ، وله من الكمال أكمله ، وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها ، فليس في الأسماء أحسن منها ، ولا يقوم غيرها مقامها ، ولا يؤدي معناها)[٢] .

قُلْتُ : وهذا أمر ثابت بالفطرة ودلالة العقل فضلًا عن النصوص الصريحة في ذلك :

(أ) أما ثبوته بالنصوص الشرعية فقد تقدم في الآيات السالف ذكرها .

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٦٦) .

(٢) المصدر السابق (١/١٦٨) .

(ب) وأما دلالة الفطرة فلما أودعه الله في الفطرة من تعظيم الله وإجلاله قال شارح الطحاوية : (أودع الله في الفطرة الإنسانية التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه - سبحانه - الكامل في أسمائه وصفاته)[1] .

(ج) وأما الدلالة العقلية فإن الرب المعبود لابد أن يكون موصوفًا بكل كمال ، وأما من كان موصوفًا بالنقص فإنه لا يصح أن يكون إلهًا ، ولذا أنكر إبراهيم على قومه عبادتهم للأصنام بأنها لا تسمع ولا تبصر كما قال - تعالى - مخبرًا عنه : ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم : ٤٢] ، وقال - تعالى -: عن قوم موسى : ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٨] .

(٨) وردت في القرآن أفعال للَّه على سبيل الجزاء والمقابلة كقوله تعالى : ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة : ٦٧] ، وقال تعالى : ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة : ١٤ - ١٥] .

وهذه الصفات تكون مدحًا فيما سيقت فيه ، لكن لا يجوز أن يشتق منها أسماء مطلقة للَّه فلا يجوز أن يقال عن الله : الماكر - الخادع - المستهزئ . بل لا تذكر إلا على سبيل الجزاء والمقابلة ، فهو يمكر بالماكرين ، ويستهزئ بالمستهزئين ، فتكون في الحال التي سيقت فيه مدحًا وكمالًا . وأما إذا وصف الله بها وصفًا مطلقًا كانت صفات نقص وذم فلا يجوز إطلاقها على الله ﷻ .

---

(١) شرح الطحاوية (ص٩٥) .

(٩) أسماء الله تعالى دالة على ذاته بالمطابقة، ويتضمن كل اسم الصف
المشتقة منه، كما أنه يدل على صفات أخرى بالالتزام. فمثلًا: الرحمن الرحي
يدل على ذات الله، فالرحمن الرحيم هو الله، والقدير هو الله وكذلك كل اس
إنما هو عَلَمٌ على ذات الله - سبحانه -. فالذات واحدة والصفات متعددة
وهذا معنى المطابقة.

ثم إن «الرحمن الرحيم» يدلان على صفة الرحمة، وهي مشتقة من الاس
(الرحمن الرحيم). فهذا المعنى (الرحمة) يتضمنه هذان الاسمان وهذا معنى
دلالة التضمن، ثم إنهما - أي هذين الاسمين الرحمن الرحيم - يدلان على
صفات أخرى كالحياة والعلم التزامًا. فكونه «رحيمًا» إذن هو حي عليم، فهذه
صفات أخرى دلت عليها هذه الأسماء التزامًا.

(١٠) الأسماء الجامدة ليست من أسماء الله - تعالى -، ومعنى الجامدة
التي لا يشتق منها أوصاف كالدهر، والأبد، والأمد.

وهذا الذي أشكل على البعض حتى سمَّى الله «الدهر» لما ورد في صحيح
البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: يا خيبة الدهر، فإن
الله هو الدهر»[١]، وفيه الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر وأنا
الدهر أقلب الليل والنهار»[٢]. وإزالة هذا الإشكال أن تعلم أن المراد أنهم حين
يسبون الدهر، فقد سبوا الذي يقلب الليل والنهار لأنه هو الذي يفعل ما يريد
ويقلب الليل والنهار.

* * *

---

(١) البخاري (٦١٨٢)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

المنهج في فهم صفات الله ﷻ

اعلم أن المنهج الصواب لمبحث صفات الله يرتكز على ثلاثة أسس[1] :

(١) تنزيه الله - تعالى - عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٢) الإيمان بما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، من غير تشبيه، أو تمثيل، ومن غير تأويل، أو تعطيل.

(٣) عدم تكلف البحث عن إدراك حقيقة الكيفية. قال - تعالى -: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

* * *

(١) تلخيص لما ذكره الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، نقلًا من كتاب العقيدة في الله، لعمر الأشقر (ص١٩٧).

قواعد هامة في فهم صفات الله[(١)]

القاعدة الأولى: القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر.

وهذه القاعدة جواب على بعض فرق الضلال كالأشاعرة الذين يثبتون لله بعض الصفات، وينكرون بعضها. فهم يثبتون فقط سبع صفات وهي: الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة، ولا يثبتون صفات أخرى كالمحبة والرضا والغضب، ونحو ذلك.

فيقال لهؤلاء: لا فرق بين ما أثبتموه، وما نفيتموه، فإن أثبتم للَّه علمًا وحياة ليس كعلم المخلوق وحياة المخلوق، فأثبتوا للَّه محبة ورضًا وغضبًا ليس كمحبة المخلوق، ولا كرضى المخلوق، ولا كغضب المخلوق.

فإن قلتم مثلًا: إنما ننفي الغضب عن الله لأن الغضب غليان الدم في القلب وهي صفة المخلوق، ولا يجوز أن نثبتها للخالق، نقول: يلزمكم أن تنفوا إذن الإرادة التي أثبتموها لأنها ميل القلب إلى أحد اختيار أحد الشيئين، وهذا ما يوصف به المخلوق فكيف وصفتم به الخالق؟! فإن قالوا: إنما نثبت إرادة تليق بالله ﷻ، نقول لهم: وكذلك نحن نثبت للَّه فرحًا ومحبة وغضبًا ورضًا يليق بالله سبحانه وتعالى.

القاعدة الثانية: القول في الصفات كالقول في الأسماء:

بعض الفرق يثبتون الأسماء دون الصفات؛ فيقولون: حي بلا حياة، عليم بلا علم، قدير بلا قدرة .. إلخ؛ فيقال لهؤلاء: لا فرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات؛ لأنهم إن قالوا: إننا لا نثبت الصفات لأن إثباتها يقتضي التجسيم،

---

(١) هذه القواعد من الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٣/١٧). وانظر العقيدة في الله، لعمر الأشقر (ص٢١٦).

لأنه ما من موصوف إلا وهو جسم ، فيقال لهؤلاء : وكذلك الأسماء فإننا لا نرى مسمّى إلا وهو جسم .

فإن قالوا : لكن أسماء الله تليق به ، قلنا لهم : وكذلك صفات الله تليق به لا تشبه صفات المخلوق .

القاعدة الثالثة : القول في الأسماء والصفات كالقول في الذات .

وهناك فرقة أخرى تثبت للَّه سبحانه وتعالى ذاتًا فقط ، وينفون عنها جميع الأسماء والصفات ، فهي ذات مجردة عن كل وصف ، ويقولون : إن ذات اللَّه ليست كذات المخلوقين ، وإنما ينفون الأسماء والصفات خشية التشبيه ، نقول لهم :

حيث إننا نثبت للَّه ذاتًا لا تشبه ذات المخلوق ، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوق ، فمن أنكر الأسماء والصفات خشية التشبيه يقال له : هل تثبت للَّه ذاتًا ؟ . فجوابه : نعم ، فيقال له : وللمخلوق ذات ، فإن قال : لكن ذات اللَّه ليست كذات المخلوق ، أجيب . وكذلك صفاته ليست كصفات المخلوقين ، وهكذا يقال في باب الأسماء .

تنبيهات وملاحظات في باب الصفات :

١- نهج أهلُ البدع منهجًا ضالًّا في باب الصفات ، وذلك أنهم يكثرون النفي فيقولون : ليس بجسم ، ولا عرض ، ولا يكلم ، ولا يرى ، ولا .. إلخ ، وهذه طريقة مبتدعة ؛ فإن نفي الصفة ليس فيه مدحًا ما لم يتضمن إثباتًا .

ولذلك كانت طريقة السلف اتباعًا للآيات والأحاديث تشتمل على إثبات الصفات ، أو تشتمل على نفي يتضمن إثباتًا ؛ فإن النفي بهذه الصورة فيه مدح وكمال : فمثلًا قوله – تعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نفي ، لكنه يتضمن إثبات الكمال للَّه ﷻ ، وقوله – تعالى – : ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ نفي ،

يتضمن كمال القيّومية والحياة، وقوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ نفي، يتضمن كمال العلم، وقوله - تعالى - : ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ نفي، يتضمن كمال القدرة.

٢- يحاول بعض المبتدعة أن ينتقضوا منهج السلف فيطلقون بعض العبارات التي لم ترد في الكتاب والسنة لكي يجادلوا بها. فمن ذلك على سبيل المثال لفظ «الجهة» و«المكان»؛ فإذا قيل لهم: إن الله فوق العرش. قالوا: إذن معنى ذلك أننا نثبت للَّه جهة؟ أو نثبت له مكانًا؟.

وجواب ذلك أن يقال: إن لفظ «الجهة» و«المكان» لم يردا في الكتاب والسنة لا نفيًا ولا إثباتًا، ولذلك نحتاج إلى أن نفهم مراد السائل فنسأله: ماذا تقصد بالجهة والمكان؟

فإن كان المقصود أن الله تحويه السماء؛ فنقول: هذا باطل ومنفي عن الله، وإن كان المقصود أن الله فوق مخلوقاته فوق السماوات. فهذا حق نثبته للَّه ﷻ، أي: أننا نقبل المعنى إذا كان موافقًا لمنهج السلف، ونرده إذا كان مخالفًا.

٣- لماذا ضل من ضل ممن عطّل صفات الله؟

إن هؤلاء المعطلة الذين نفوا عن الله صفاته، إنما فعلوا ذلك خشية أن يقعوا في التشبيه. فهم يزعمون مثلًا أنهم إذا أثبتوا أن الله مستوٍ على عرشه أنهم شبهوه بالمخلوق، فيؤولون الصفة طلبًا للتنزيه حتى قالوا:

وكل نصٍّ أوهم التشبيها أَوِّلْه أو فَوِّضْ ورُم تنزيها

وهذا من سوء اعتقادهم وسوء فهمهم، فإنهم بدءوا بالتشبيه وانتهوا بالتعطيل، يعني: أنهم فهموا الآيات خطأً ابتداءً وأنها تعني بظاهرها التشبيه، فأرادوا تنزيه الله عن هذا التشبيه، فأولوا الصفات فانتهوا إلى تعطيل الصفة عن الله.

ثم إن هذا المعطل وقع في شرّ مما فرّ منه ، فإنه إذا نفى عن الله صفة اليد مثلًا فقد شبهه بالمقطوع ، أو بمن لا يد له - بناء على فهمه - وإذا نفى الاستواء ، وقال هو بمعنى الاستيلاء ، لكان مشبهًا لله بملوك الدنيا ، وهذا كله من شؤم البدعة وتحكيم العقول على الشرع .

والصحيح من عقيدة أهل السنة خلاف ذلك : فإنهم يثبتون الصفات لله ﷻ كما وردت في الآيات والأحاديث ، لكنهم يفوضون كيفية الصفات ، ولا يخوضون في ذلك . ولذلك قال الإمام مالك فيما صح عنه إجابة لمن سأله عن كيفية الاستواء قال : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) . فأثبت الاستواء ، ولم يتعرض للكيفية .

٥- اعلم أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء ، لأن كل اسم يتضمن صفة ، ويزاد على ذلك صفات أخرى وردت مستقلة في النصوص كصفة الوجه واليد والاستواء والنزول و ... إلخ .

* * *

فصل: في إثبات بعض الصفات لله عز وجل

اعلم أن صفات الله عز وجل تنقسم إلى قسمين: صفات ذات وصفات فعل.

فصفات الذات: هي التي لا تنفك عن الله مثل النفس والحياة والوجه واليد والسمع والبصر والقدرة والملك والعظمة والكبرياء والغنى والرحمة والقوة والعزة.

وصفات الفعل: هي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة مثل الاستواء والنزول والضحك والمجيء والفرح والرضى والحب والكره والسخط ... إلخ[١].

وهذا لا يعني أن صفات الفعل حادثة، وأن الله قد وصف بها بعد أن لم يكن متصفًا بها.

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: (ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًا)[٢].

ذكر أمثلة لصفات الذات:

(١) صفة الوجه:

قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقال النبي ﷺ: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا وجه الله إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[٣].

---

(١) انظر في ذلك: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للسلمان (٤٢٩، ٤٣٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٩٦/١).

(٣) **البخاري** (٤٨٧٨) (٧٤٤٤)، **ومسلم** (١٨٠)، والترمذي (٢٥٢٨)، وابن ماجه (١٨٦).

فنثبت لله وجهًا يليق به سبحانه ، ولا نتوهم في ذلك كيفية معينة ، وهذا هو منهج السف ، وأما أهل البدع فقد زعموا أن معنى الوجه الثواب ، وهذا باطل ومخالف لظاهر القرآن والسنة .

(٢) صفة اليد :

قال تعالى : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص : ٧٥] ، وقال تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة : ٦٤] .

وقال ﷺ : « المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين »[1] ، وفي ذلك دليل على أن الله له يدان ، ويدُ الله تليق به ولا تشبه يد أحد من المخلوقين .

ومن زعم أن اليد بمعنى القدرة فقد أخطأ ، وذلك لأسباب :

منها : أن الأصل حمل اللفظ على ظاهره ولا يؤول إلى غيره .

ومنها : أنه لا يصح حمل معنى اليد على القدرة - ولو على سبيل المجاز - إذا وردت اليد بصيغة التثنية كما في الآيات السابقة ، حيث لا يفهم في حالة ذكر اليد بالتثنية إلا اليد الحقيقية بالعدد المذكور .

ومنها : أن اليد إذا كانت بمعنى القدرة فإنها لا توصف باليمين والكف ، ولا توصف بالقبض والبسط والخلق نحو ذلك ، كما ورد في أحاديث أخرى وكما تقدم في الحديث السابق (يمين الرحمن) ، واعلم أن الصحيح لا يصف يد الله بالشمال ، والروايات المذكورة فيها « الشمال » روايات شاذة .

(٣ - ٤) صفة السمع والبصر :

قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

---

(١) رواه مسلم (١٨٢٧) ، والنسائي (٨/٢٢١) .

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفًا، ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، فدنا منا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس أربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، وإنما تدعون سميعًا بصيرًا»[١].

ومعنى «الشرف»: المرتفع من الأرض.

فثبت لله سمعًا وبصرًا يليق به سبحانه، فسمعه وبصره لا يشبه سمع أحد من خلقه ولا بصر أحد من خلقه، بل هو كما يليق به بلا كيف ولا تشبيه.

(٥) صفة العين:

قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، ثم قال: إني سأقول لكم قولًا لم يقله نبي لقومه: تعلمن أنه أعور، وأن الله ليس بأعور»[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: (وهذا الحديث يدل على أن لله تعالى عينين اثنتين فقط)، وقال أيضًا: (ولقد ذكر ذلك عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في رده على المريسي)، وكذلك أيضًا ذكره ابن خزيمة في «كتاب التوحيد»، وذكر أيضًا إجماع السلف على ذلك أبو الحسن الأشعري رحمه الله وأبو بكر الباقلاني والأمر في هذا واضح)[٣].

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦٦١٠)، ومسلم (٢٧٠٤)، وأبو داود (١٥٢٦)، والترمذي (٣٣٧٤).

(٢) رواه البخاري (٣٠٥٧) (٣٣٣٧) (٦١٧٥) (٧١٢٧)، وثبت نحوه عند مسلم (١٦٩).

(٣) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣١٣، ٣١٤).

(٦) صفة الأصابع :

في « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ رجلٌ من اليهود فقال : يا محمد إن الله يجعل السماوات على أصبع ، والأرض على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، فيهزهن فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، قال : فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لخبر الحبر ، ثم قال : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر : ٦٧] .

فنثبت للَّه أصابع تليق به لا تشبه أصابع أحد من المخلوقين ، وقد دل هذا الحديث على خمسة أصابع ، لكن هل هناك ما يزيد على ذلك ؟ نكل علم ذلك إلى الله عز وجل حيث إن الحديث لم يذكر إلا خمسة .

واعلم أن أصابع الله تليق به لا تشبه أصابع أحد من خلقه .

(٧ - ٨) صفة القدم والساق

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فتقول : قطِ قطِ وعزتك ، ويزوى بعضها إلى بعض ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله خلقًا فيسكنه فضول الجنة »[١] ، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « الكرسيُّ موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله »[٢] .

ومعنى : « قطِ قطِ » أي : حسبي حسبي .

---

(١) **البخاري** (٦٦٦١) (٧٣٨٤) ، ومسلم (٢٨٤٨) ، والترمذي (٣٢٧٢) .

(٢) **حسن** : رواه الحاكم (٢/٢٨٢) ، والطبراني في التفسير (٣/١٠) ، وعبد اللَّه بن الإمام أحمد في السنة (٥٨٦) وغيرهم .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا»[1].

فينبغي أن ينتبه المسلم إلى أن إثبات هذه الصفات لله ﷻ ليس معناه تشبيه الله ﷻ بخلقه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، فنحن نثبت لله هذه الصفات وقد تقرر في قلوبنا عند كل صفة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وهذا هو المنهج الذي عليه سلف الأمة، لكن لما نشأ علم الكلام نتيجة اتصال المسلمين بثقافات الأمم الأخرى بدأ التحريف في صفات الله، فأولوا الوجه بالذات، واليد بالقدرة، والقدم بالغضب، والساق بالشدة في الأمر وهذه كلها عقيدة باطلة وتحريف لآيات الله، وتعطيل لصفات الله. فكن أخا الإسلام حريصًا على ما مضى عليه السلف رضوان الله عليهم فهذه الطائفة المنصورة، وهم أهل النجاة.

* * *

(١) البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣).

نماذج من صفات الفعل

(١) الاستواء على العرش :

الله قد استوى على عرشه استواء يليق به ، ولا يشبه استواء المخلوقين ، والأدلة على استوائه كثيرة منها :

قال تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] .

وقال تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل : ٥٠] .

وقال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر : ١٠] .

وفي الحديث أن عائشة رضي الله عنها قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ؛ إن خولة جاءت تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ فيخفى علي أحيانًا بعض ما تقول : فأنزل الله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة : ١][1] .

وثبت في الحديث عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للأمة السوداء : « أين الله ؟ » قالت : في السماء ، قال : « اعتقها فإنها مؤمنة »[2] .

هذا ، وقد ذهب بعض أهل البدع إلى أن الاستواء بمعنى الاستيلاء ، فحرفوا بذلك النصوص عن ظاهرها زاعمين أنهم بذلك نزّهوا الله عن مشابهة الخلق ،

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجه (٢٠٦٣) ، والنسائي (٦/١٦٨) ، والدارمي في « الرد على المريسي » (ص٤٦) .

(٢) رواه مسلم (٥٣٧) ، وأبو داود (٩٣٠) ، والنسائي (٣/١٤) ، والدارمي في « الرد على المريسي » (ص٩٥) .

وهذا باطل ؛ لأن السلف عندما أثبتوا الاستواء إنما أثبتوا استواءً يليق به – سبحان
وتعالى – لا يشبه استواء المخلوقين .

ثم نقول لهؤلاء: وأي تنزيه في وصفه سبحانه بالاستيلاء؟! أو ليس
الاستيلاء أيضًا من صفات المخلوقين ، ثم إنكم عندما تصفونه بالاستيلاء يشعر
وصفكم هذا بأنه كان منازع فيه حتى استولى عليه ، وهذا فيه نقصٌ لله ، تعالى
الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

أين الله ؟ !

هذا سؤال سأله النبي ﷺ للجارية كما تقدم في الحديث ، فأجابته قائلة :
« في السماء » . فهل يعني ذلك أن الله تحيط به السماء ؟ !

الجواب : لا ، بل إن معنى « في » بمعنى « على » كقوله تعالى : ﴿قُلْ سِيرُوا
فِي الْأَرْضِ﴾ يعني : عليها ، وقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي
جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ يعني : عليها ، وعلى ذلك فالله فوق السماوات ، مستوٍ على
عرشه ، يدبر أمر خلقه ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

وأما من يقول إن الله في كل مكان ، فإن كان يقصد بذلك أنه في كل مكان
« بذاته » فهذا باطل ، فالله منزه عن الأمكنة فهو فوق السماوات ، وأما إن كان
يقصد أنه في كل مكان « بعلمه » فذلك صحيح فقد أحاط بكل شيء علمًا قال
تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ
ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا
هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فبدأ
الآية بالعلم ، وختمها بالعلم .

(٢) النزول :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ينزل** ربنا كل ليلة إلى سماء

الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[١].

وهذا النزول يليق بالله ﷻ لا نتوهمه بكيفية ولا تمثيل، وأما ما يدعيه أهل البدع بأن المقصود بالنزول نزول رحمته، فهذا باطل، لأن رحمته تنزل على العباد كل لحظة، فأي فائدة في اختصاص الحديث بذكرها في ثلث الليل؟!

وكذلك من يقول: إن المقصود بالنزول نزول مَلَكٍ من عند الله، نقول هذا أيضًا باطل، وكيف يقول الملك: من يدعوني، من يسألني، من يستغفرني؟ إن هذا لا يليق إلا بالله، وبهذا تعلم بطلان ما ذهب إليه أهل الزيغ والضلال، فإن النجاة في اتباع منهج السلف ﷺ.

(٣ - ٥) الضحك والفرح والعجب:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يضحك** الله إلى رجلين يقتل إحداهما الآخر كلاهما يدخل الجنة؛ يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل، فيقاتل في سبيل الله فيستشهد»[٢].

هذا الحديث فيه إثبات صفة الضحك للَّه ﷻ.

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لله أشد **فرحًا** بتوبة عبده ...»[٣]. فيه إثبات صفة الفرح للَّه ﷻ.

وفي حديث أبي طلحة وقصته مع ضيفه قال النبي ﷺ: «لقد **عجب** الله

---

(١) **رواه البخاري** (١١٤٥)، **ومسلم** (٧٥٨)، وأبو داود (١٣١٥)، والترمذي (٣٤٩٨)، وابن ماجه (١٣٦٦)، والدارمي في «الرد على المريسي».

(٢) **رواه البخاري** (٢٨٢٦)، **ومسلم** (١٨٩٠)، والنسائي (٦/٣٨)، وابن ماجه (١٩١).

(٣) **رواه البخاري** (٦٣٠٨)، **ومسلم** (٢٧٤٤).

من فعالكما الليلة »[1] . فيه إثبات صفة العجب لله ﷻ .

وقد وردت الآيات والأحاديث في إثبات صفة المحبة والرحمة والإرادة والكراهية والبغض والغضب ، وغير ذلك من الصفات المذكورة في الكتب المطولة .

* * *

(١) رواه البخاري (٤٨٨٩) ، ومسلم (٢٠٥٤) .

إثبات صفة الكلام لله عز وجل

عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله يتكلّم بكلام حقيقي متى يشاء وكيف شاء، بما شاء، بحرف وصوت، لا يماثل أصوات المخلوقين(١).

وعلى هذا فصفة الكلام صفة ذات وصفة فعل، فهي باعتبار أصله صفة ذات ؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاده فهي صفة فعل لأنه يتكلم بما شاء متى شاء.

والأدلة على الصفة كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يقول الله تعالى : يا آدم، فيقول : لبيك وسعديك، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من أمتك بعثًا إلى النار»(٢).

القرآن كلام الله :

عقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله تكلم به حقيقة، غير مخلوق منه بدا وإليه يعود.

قال تعالى : ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

والمقصود بقولهم (منه بدا) : أي : أنه المتكلم به – سبحانه وتعالى – وأما

---

(١) انظر شرح الواسطية لابن عثيمين (٤١٩/١).

(٢) رواه البخاري (٤٧٤١)، (٧٤٨٣)، وأحمد (٣٨٨/١).

قولهم (إليه يعود) يحتمل معنيين :

الأول : أنه يرفع كما ورد في بعض الآثار أنه يُسرى عليه في ليلة فيصبح الناس ليس بين أيديهم قرآن ، ولا في صدورهم ، ولا في مصاحفهم ، يرفعه الله ﷻ .

الثاني : أنه يعود إلى الله وصفًا ، أي أنه لا يوصف به أحد سوى الله فيكون المتكلم بالقرآن هو الله ﷻ وهو الموصوف به .

(أورد هذين المعنيين الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، ثم قال : ولا مانع من أن نقول : إن المعنيين كلاهما صحيح) .

قال الطحاوي رحمه الله وهو يبيّن عقيدة أهل السنة والجماعة : (وأن القرآن كلام الله ، منه بدأ - بلا كيفية - قولًا ، وأنزله على رسوله وحيًا ، وصدّقه المؤمنون على ذلك حقًّا ، وأيقنوا أنه كلام الله - تعالى - بالحقيقة ، ليس بمخلوق مثل كلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر ، فقد كفر ، وقد ذمّه الله وعابه وأوعده بسقر ، حيث قال - تعالى -: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦] ، فلما أوعد الله بسقر لمن قال : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر ، فمن أبصر هذا اعتبر ، وعن مثل قول الكفار انزجر ، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر) .

* * *

إثبات رؤية المؤمنين لربهم ﷻ

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله.

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، ومما ورد في تفسيره أن المزيد: النظر إلى وجه الله.

وقد تواترت الأحاديث في إثبات رؤية المؤمنين ربهم، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك»[1]، ومعنى «تضارُّون» أي: تشكُّون.

ومنها حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - من دعائه ﷺ في الصلاة وفيه: «وأسألك النظر إلى وجهك»[2].

ومنها ما رواه مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله ﷻ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]»[3]. فـ «الحسنى»: الجنة، و «الزيادة» هي النظر إلى وجه الله.

---

(١) البخاري (٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٢)، والترمذي (٢٥٥٧)، وأبو داود (٤٧٣٠).

(٢) رواه النسائي (٣/٥٤)، وأحمد بسند صحيح (٤/٢٦٤).

(٣) مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢)، وابن ماجه (١٨٧).

واعلم أن رؤية المؤمنين ربهم إنما تكون يوم القيامة ، وأما في الدنيا فلا يراه أحد لقوله ﷺ : « واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى الله حتى يموت »[1] .

والصحيح أن النبي ﷺ لم يره ليلة المعراج ، وهذا قول عائشة ، وجمهور الصحابة ، وأما ما ثبت عن ابن عباس أن النبي ﷺ رأى ربه فهذه رؤية قلبية وليست بالرؤية البصرية . والله أعلم .

* * *

تنبيه :

ذهب بعض أهل البدع ، على رأسهم المعتزلة إلى نفي الرؤية في الآخرة ، واستدلوا على ذلك بقوله – تعالى – لموسى عليه السلام : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف : ١٤٣] قالوا : ذاك النفي بـ « **لن** » يفيد التأبيد ، وهذا يشمل عدم الرؤية في الدنيا والآخرة ، واستدلوا كذلك بقوله – تعالى –: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام : ١٠٣] قالوا : فإذا رأوه فقد أدركوه وهذا ينافي الآية .

والجواب على هذه الشبهات نقول : إن هاتين الآيتين حجة عليهم في إثبات الرؤية ، وذلك كالأتي :

أولًا : الآية الأولى قوله – تعالى – لموسى عليه السلام : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ دليل علي إثبات الرؤية من وجوه :

الوجه الأول : أن موسى كليم الله ، وهو أعلم الناس بما يجوز وما لا يجوز على الله قد سأل ربه الرؤية ، فلو كانت محالة لما سألها موسى عليه السلام .

الوجه الثاني : أن الله لم ينكر سؤاله ، وذلك كاف في تقرير جواز الرؤية ، لكنه منعه منها لأنه لا يتحمل ذلك في الدنيا .

---

(١) مسلم (٤/٢٢٤٤) برقم (١٦٩) ، والترمذي (٢٢٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

الوجه الثالث : أن الله – تعالى – قال : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل : إني لا أُرى ، أو لا يجوز رؤيتي ، أو لست بمرئي . والفرق بينهما ظاهر .

الوجه الرابع : قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ فقد علق سبحانه الرؤية على ثبوت واستقرار الجبل ، وهذا ممكن إذا مكنه الله ﷻ .

وأما دعواهم أن « **لن** » للتأبيد الشامل للآخرة أيضًا ، فباطل ، فقد قال الله تعالى عن اليهود : ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[البقرة : ٩٥] يعني : الموت فذكر الله ذلك عنهم بـ « لن » ، وقيدها بـ « أبدًا » ، ومع ذلك فإن الله ذكر عنهم وعن أمثالهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة ، قال تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف : ٧٧] أي : أنهم تمنوا الموت ، فثبت بذلك أن « **لن** » لا تفيد النفي المؤبد .

قال ابن مالك :

ومن رأى النفي بلن مؤبدًا فقوله اردد وسواه فاعضدا

ثانيًا : الجواب عن شبهتهم الثانية في قوله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ .

الجواب : أن هذه الآية دليل على ثبوت الرؤية ؛ لأن الله تعالى ذكرها في سياق المدح ، ومعلوم أن المدح يكون بالصفات الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال ، وإنما يكون العدم مدحًا إذا تضمن إثباتًا ، فنفي السِّنة مدحًا لأنه تضمن كمال الحياة ، ونفي الظلم مدحًا لأنه تضمن كمال العدل ، ونفي النسيان مدحًا لأنه تضمن كمال الصفات .

وأيضًا فإن الآية إنما نفت « **الإدراك** » ولم تنف « **الرؤية** » وفرق بينهما فإن الإدراك أمر زائد علي الرؤية كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ

مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء: ٦١]، فإنه لم ينف الرؤية حيث ﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾، وإنما نفي الإدراك وهو شيء زائد علي الرؤية. وعلى هذ فالله سبحانه يُرى، لكن لا يُدرك، ويعلم ولا يحاط به علمًا، وهذا الذي فهم الصحابة والأئمة ﷺ كما روي عن ابن عباس أنه قيل له في ذلك فقال للسائل «أفترى السماء؟» قال: نعم، قال: «أفتدركها» قال: «لا»، قال: «الله أعظ وأجل».

* * *

تنبيه: في النهي عن بعض الألفاظ التي ترد على ألسنة العوام وهي تخالف عقيدة التوحيد:

* من ذلك قولهم: «عبد الرسول» أو «عبد النبي» أو «عبد الحسين»، أ «عبد المأمور» فهذا لا يجوز، ولا يصح التعبيد إلا بالأسماء الحسنى.

* ومن ذلك قولهم في حالة المزاح - استهزاء - لمن لم يسمع الكلم فيقول: «أنت يا عبد السميع». وهذا فيه استهزاء باسم الله «السميع وسخرية، وينبغي أن تصان أسماء الله عن اللغو والمزاح.

* ومن هذا الباب قولهم: (جبتك يا عبد المعين تعين لقيتك يا عبد المعير عايز تتعان)، واعلم أن المعين ليس من أسماء الله.

* ومن ذلك قولهم أيضًا «عبد اللّا» وهذا تحريف لاسم الله والصحيح أن يقال «عبد الله».

* من ذلك قولهم: (حواش يا حواش)، أو قولهم: (يا مهون هون) أ قولهم «يا مسهل». فكل هذا ليس من أسماء الله الحسنى.

* وكذلك قولهم: «يا ساتر» أو «يا ستار» والصحيح أن اسم الله «الستير

لما ثبت في الحديث : « إن الله حيي ستير »[١] .

* ومن ذلك قولهم : « ربنا عارف » أو « ربنا واقف معانا » ، فلا ينبغي أن يوصف الله بمثل هذه الكلمات لأنها لم ترد في القرآن والسنة وصفًا لله ، ولكن نقول : « ربنا يعلم » ويقول : « اللهم أعنا » أو « الله المستعان » .

* ومن ذلك قولهم : « الله في كل مكان ولا يخلو منه مكان » كلام باطل كما تقدم والصحيح أن نقول : الله في السماء مستو على عرشه ، وقد أحاط علمه بكل شيء .

* ومن ذلك ما يجرى على ألفاظ العوام من تحويل القاف إلى همزة فيقولون الله الرزاء ، والله آدر ، أو الله الخالئ . وهذا خطأ والصحيح أن نقول : الرزاق ، القادر ، الخالق ، بإثبات القاف .

* ومن ذلك قولهم : « ربنا افتكره » أو قولهم : « افتكاره رحمة » ، وهذا مناف لكمال علم الله ﷻ قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم : ٦٤] .

* ومن ذلك قولهم : (لا حول الله) ، وهذا يعني نفي الحول عن الله ، والصحيح أن يقال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

* من ذلك تشبيه الله بـ (الأسد) ، أو بأنه (مهندس) ، أو نحو ذلك من العبارات . فمثل هذا لا يجوز ، وإن قصد به المدح ، لأن أسماء الله وصفاته توقيفية كما سبق تقرير ذلك .

* ومن ذلك قول بعضهم عن الله « الجبلاوي » ، وهذا استهزاء بالله يكفر به قائلها .

---

(١) صحيح : رواه أبو داود (٤٠١٢) ، والنسائي (٢٠٠/١) ، وأحمد (٢٢٤/٤) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٦) .

* ومن ذلك قول بعضهم تشفيًا ممن ظلمه : (ربنا يظلمه زي ما ظلمني) ، ومعلوم أن الله لا يظلم مثقال ذرة ، والواجب أن يقول : حسبي الله ونعم الوكيل ، أو يدعو الله ﷻ بنصرته ، وتمكينه من نيل حقه .

* ومن ذلك أيضًا سب الدهر ، أو قولهم يوم أسود ، أو يسب الزمن ، أو نحو ذلك ، وفي الحديث : « شتمني ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار » . ومن هذا الباب قول بعضهم : الجو وحش . والنهارده زي الزفت ، ده جو ابن ..، أو قول بعضهم متسخطًا (آه يا زمن) ، الزمن غدار . فهذه كلها ألفاظ تتنافى مع توحيد الله ﷻ . وسيأتي مزيد لذلك[1] .

* * *

---

(١) انظر ص٦٨ .

معنى كلمة التوحيد وشروطها

(أ) معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله، وعلى هذا فقد تضمنت هذه الكلمة نفيًا وإثباتًا.

* فأما النفي ففي قوله: (لا إله) تنفي بذلك جميع ما يعبد من دون الله.

* وأما الإثبات ففي قوله (إلا الله) تثبت بذلك الإلهية لله وحده.

* * *

(ب) شروط كلمة التوحيد:

لا ينتفع الإنسان بهذه الكلمة في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة إلا إذا تحقق عند قائلها سبعة شروط:

الأول: العلم بها:

كما تقدم نفيًا وإثباتًا - قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]. وقال ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[(١)].

الثاني: اليقين المنافي للشك:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥] أي: لم يشكُّوا في إيمانهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بها عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة»[(٢)].

---

(١) مسلم (٢٦)، وأحمد (٦٥/١)، وابن حبان (٢٠١).

(٢) مسلم (٢٧)، وأحمد (٤٢١/٢)، وأصله عند البخاري (٢٤٨٤).

الثالث : القبول المنافي للاستكبار عنها :

قال تعالى عن المجرمين : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات : ٣٥] .

الرابع : الانقياد لما دلت عليه المنافي للترك :

قال تعالى : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان : ٢٢] ، ومعنى يسلم : يستسلم ، والعروة الوثقى هي كلمة التوحيد .

الخامس : الصدق المنافي للكذب :

قال تعالى في شأن المنافقين وكذبهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٨] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار »(١) .

السادس : الإخلاص المنافي للرياء :

قال تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر : ٣] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء : ١٤٥ ، ١٤٦] .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه »(٢) .

---

(١) **البخاري** (١٢٨) ، ومسلم (٢٢) ، وأحمد (٤/١٦) .

(٢) **البخاري** (٩٩) (٦٥٧٠) ، وأحمد (٢/٣٧٣) .

السابع : المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه : والمحبة لأهلها والعاملين لها :

قال تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

وغير ذلك من الآيات في باب الولاء والبراء .

* * *

معنى العبادة وأركانها

(أ) معنى العبادة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)[١] . اهـ .

وقال أيضًا : طاعة الله لامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل .

قلت : ومدار ذلك وتحقيقها لا يكون إلا بغاية الحب للّه عَزَّ وَجَلَّ وأمره مع غاية الذل له سبحانه وتعالى .

* * *

(ب) أركان العبادة :

اعلم أنه لا تقبل العبادة إلا إذا تحقق فيها ركنان :

الركن الأول : الإخلاص :

قال تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة : ٥] .

وقال ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم »[٢] .

وقال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى »[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩) .

(٢) مسلم (٢٥٦٤) ، وابن ماجه (٤١٤٣) ، وأحمد (٢/٢٨٤) .

(٣) البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) ، والترمذي (١٦٤٧) ، وأبو داود (٢٢٠١) ، والنسائي (١/ ٥٨) ، وابن ماجه (٤٢٢٧) .

الركن الثاني : المتابعة لرسول الله ﷺ :

فلا يعبد الله إلا بما شرعه على لسان رسول الله ﷺ ولذلك قال ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[١] متفق عليه .

قال الفضيل بن عياض في قوله - تعالى - : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٣] قال : أخلصه ، وأصوبه ، يعني : خالصًا من شوائب الشرك . صوابًا موافقًا للسنة .

* * *

(١) البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧١٨) ، وأبو داود (٤٦٠٦) ، وابن ماجه (١٤) .

التحذير من مظاهر الشرك

اعلم - رحمك الله - أن من هذه العبادات التي يعبد الله بها الدعاء، والاستعاذة بالله، والاستغاثة به وحده، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادات. وقد ابتلي كثير من العوام في الوقوع في بعض مظاهر الشرك التي يجب التحذير منها.

من ذلك تعليق التميمة: وذلك بأن يتخذ أحدهم خيطًا أو يعلق نعلًا أو حديدة ظانًّا أن ذلك يمنع عنه الحسد، وقد ورد في الأحاديث بتحريم ذلك وبيان أنه من الشرك؛ فعند أحمد والحاكم بسند صحيح عن عقبة بن عامر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «من علق تميمة فقد أشرك»[(١)].

* **ومن ذلك التبرك بالأشجار والأحجار والأضرحة وغير ذلك**، وهذا مظهر من مظاهر الشرك التي حذر منها رسول الله ﷺ.

فعن أبي واقد الليثي ﵁ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر؛ إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم»[(٢)] رواه الترمذي وصححه.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/١٥٦)، والحاكم (٤/٢٤٣)، والطبراني في الكبير (١٧/٣١٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩٢).

(٢) صحيح: الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٥/٢١٨)، وابن حبان (٦٧٠٢)، وصححه الألباني =

ومعنى « السدرة » : الشجرة ، و« ينوطون » : يعلقون قاصدين بذلك التبرك .

* **ومنها : الذبح لغير الله** : قال - تعالى - : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر : ٢] .

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام : ١٦٢] ، والنسك : هو الذبح .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : « لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثًا ، لعن الله من غير منار الأرض »[1] رواه مسلم ، فعلى هذا ما يفعله كثير من الناس بالذهاب إلى الأضرحة كقبر البدوي ، والحسين ، وغيرهما ويذبحون لهم وينذرون لهم كل هذا ينافي التوحيد وهو من مظاهر الشرك .

* **ومنها : النذر لغير الله** : لأن النذر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل . قال تعالى : ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان : ٧] .

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله ، فلا يعصه »[2] .

* **ومنها : الاستسقاء بالنجوم والأنواء** ، فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من

= في المشكاة (٥٤٠٨) .

(١) **مسلم** (١٩٧٨) ، والنسائي (٧/٢٣٢) ، وأحمد (١/١١٨) .

(٢) **البخاري** (٦٦٩٦) ، والترمذي (١٥٢٦) ، والنسائي (٧/١٧) .

قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب »[١] . ومعنى النوء : منازل القمر .

قال في « فتح المجيد » : (فإن قال قائلهم : مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا فلا يخلو : إما أن يعتقد أن له تأثيرًا في إنزال المطر فهذا أشرك وكفر ، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية .

وإما أن يقول : مطرنا بنوء كذا وكذا لكن مع اعتقاد أن المؤثر الله وحده ، ولكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم ، والصحيح أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ، ولو على طريق المجاز) .

* ومنها : **إتيان الكهان أو تصديقهم بما يقولون** ، والكاهن هو العرّاف أو المنجم أو الرّمال ، أو من ينظر في الفنجان أو الكف . أو يدعي الكشف ، أو علم الغيب أو تحضير الأرواح ، أو فتح المندل وغير ذلك .

فعن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا قال : « من أتى عرّافًا ، أو كاهنًا فصدَّقه بما يقوله فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »[٢] .

وعن بعض أزواج النبي ﷺ قال : « من أتى عرّافًا فسأله عن شيء ، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا »[٣] .

ويدخل في هذا المعنى ما يقوله الناس « الحظ » ، أو « أنت والنجوم » ، فينظر في منازل القمر لما يقوله المنجمون ليعرف هل سيكون اليوم سعيدًا أم شقيًا ، فلا يجوز قراءة ذلك فضلًا عن اعتقاده .

---

(١) البخاري (٨٤٦) ، ومسلم (٧١) ، وأبو داود (٣٩٠٦) ، والنسائي (٣/١٦٤) .

(٢) رواه أحمد (٢/٤٢٩) ، والحاكم (١/٤٩) ، وصححه على شرطهما .

(٣) مسلم (٢٢٣٠) ، وأحمد (٤/٦٨) .

* **ومنها : الاستغاثة والاستعاذة بغير الله عَزَّوَجَلَّ** ، والاستعاذة : هي الالتجاء والاعتصام ، والاستغاثة : طلب الغوث ولا تكون إلا من مكروب .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «من ذبح للشيطان ودعاه ، واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده ، وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخدامًا ، وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه ، وبذلك يخدم الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة ، فإن الشيطان لا يخضع له ، ولا يعبده كما يفعل هو به »[1] .

وقال أيضًا : «ومن أنواعه - يعني : الشرك - طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم»[2] .

ومن الشرك الأصغر الحلف بغير الله :

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك »[3] . وهذا من الشرك الأصغر الذي لا يخرج عن الملة فيحرم أن يحلف بأبيه ، أو أمه ، أو بالنبي ، أو الأمانة ، أو بالنار ، أو بأي شيء من المخلوقات .

ولا يكون اليمين إلا بالله أو بصفاته أو بأسمائه . فإن زلق لسانه فحلف بغير الله فكفارة ذلك أن يقول : لا إله إلا الله لما ثبت في الحديث : « من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله ، ومن قال لأخيه تعالى أقامرك فليتصدق »[4] .

---

(١) بدائع الفوائد (٢/٤٦١) .

(٢) مدارج السالكين (١/٣٤٦) .

(٣) رواه أبو داود (٣٢٥١) ، والترمذي (١٥٣٥) ، وأحمد (٢/٦٩) ، والحاكم (١/١١٧) ، وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٦١) .

(٤) البخاري (٤٨٦٠) (٦١٠٧) (٦٣٠١) ، ومسلم (١٦٤٧) ، وأبو داود (٣٢٤٧) ، والترمذي (١٥٤٥) .

ومن الشرك الأصغر قول القائل : ما شاء اله وشئت ، ونحو ذلك كقوله توكلت على الله وعليك ، لولا الله وفلان ، ونحو ذلك .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : (وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله ، وقول الرجل للرجل : ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب حال قائله ومقصده) .

فعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان »[1] .

قال في « فتح المجيد » : (وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساويًا للمعطوف عليه ... بخلاف المعطوف بثم ، فإن المعطوف بها يكون متراخيًا عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور لكونه صار تابعًا) .

ومن الشرك الأصغر : الرياء . وقد ثبت في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا . قال الله – تعالى – : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملًا أشرك فيه غيري تركته وشركه »[2] .

حكم العمل إذا دخله رياء :

بيّن الحافظ ابن رجب هذا الحكم وفصّله كالآتي :

أ – أن يكون العمل رياءً محضًا ، بحيث لا يراد به سوى مرآة الناس ، كحال

---

(١) صحيح : رواه أبو داود (٤٩٨٠) ، وأحمد (٣٨٤/٥) ، والنسائي في الكبرى (٢٤٥/٦) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٧) .

(٢) مسلم (٢٩٨٥) ، وابن ماجه (٤٢٠٢) ، وأحمد (٣٠١/٢) .

المنافقين في صلاتهم ... فهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله .

ب - أن يكون العمل للَّه ويشاركه الرياء فهذا على قسمين :

الأول : أن يشاركه الرياء من أصله ، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه . لكنه إن خالطته نية غير الرياء كأخذ أجرة مثلًا ، أو أخذ شيء من الغنيمة نقص أجرهم ولم يبطل بالكلية .

الثاني : أن يكون العمل لله ، ثم طرأت عليه نية الرياء ، فإن كان خاطرًا ودفعه فلا يضره بلا خلاف ، وإن استرسل ففيه خلاف : هل يبطل عمله أم لا يضره ؟ حكاه الإمام وابن جرير الطبري ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك ، وأنه يجازي بنيته الأولى ، وهو مروي عن الحسن البصري .

* * *

فصل

في بيان السحر والرقى والتعاويذ

أولًا : السحر :

اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة إثبات السحر ، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الأخرى ، فقد أورده الله تعالى في كتابه ، وأمرنا بالاستعاذة منه ، وبين أنه مما يتعلم ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه .

وأما حكم الساحر: فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

واختلف العلماء هل يكفر الساحر أو لا يكفر ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك ، وأبو حنيفة ، وأحمد ، رحمهم الله . وقال الشافعي : إذا تعلم السحر قلنا له : صف لنا سحرك ، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة ، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر .

وأما حد الساحر: فعن جندب مرفوعًا ﷺ قال : « حد الساحر ضربة بالسيف »[١] رواه مالك وعبد الله بن أحمد في مسائله والبيهقي بسند صحيح .

* **هل تجوز النشرة ؟** والمقصود بالنُّشرة حل السحر عن المسحور .

---

(١) الترمذي (١٤٦٠) ، والحاكم (٤/٤٠١) ، والبيهقي (٨/١٣٦) ، وقال الحاكم : غريب صحيح ، ووافقه الذهبي .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (وهي نوعان :

أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان . وعليه يحمل قول الحسن - يعني : قوله : النشرة من السحر .

والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز)(١) .

وفي البخاري عن قتادة . قلت لابن المسيب . رجل به طب - يعني : السحر - أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال : لا بأس إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه) .

* * *

ثانيًا : الرقى والتعاويذ :

ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال : « إن الرقى والتمائم والتّولة شرك »(٢) .

و« التميمة » هي خرزة يضعونها يدفعون بها العين والحسد ، و« **التولة** » ما يضعونه من الحجب قاصدين بذلك التحبيب بين الزوجين . و« **الرقى** » هي العزائم التي يرقى بها المريض لدفع الحسد وهذه الرقية قسمان :

الأولى : ما كان بالتعاويذ الشركية والألفاظ المجهولة فهذه لا تجوز .

الثانية : ما كانت بالقرآن والتعاويذ النبوية فهذه جائزة ، وقد ثبت في الحديث : « لا رقية إلا من عين أو حُمَة »(٣) ، والعين : هو الحسد ، والحُمَة :

---

(١) إعلام الموقعين (٤/٣٩٦) .

(٢) **صحيح** : أبو داود (٣٨٨٣) ، وابن ماجه (٣٥٣٠) ، وأحمد (١/٣٨١) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٦٣٢) .

(٣) **رواه البخاري** (٥٧٠٥) ، ومسلم (٢٢٠) موقوفًا على عمران بن حصين وبريدة ، ورواه الترمذي (٢٠٥٧) ، وأبو داود (٣٨٨٤) ، وابن ماجه (٣٥١٣) ، مرفوعًا .

ذوات السموم كالحية والعقرب . وقال ﷺ : «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا»[1] .

وعلى هذا فلا تجوز الرقية إلا بثلاثة شروط :

أ - أن تكون بالقرآن والسنة .

ب - أن تكون باللغة العربية ، ولا تكون بكلام مجهول ، أو بكلام سُرياني .

جـ - أن يعتقد أن الشفاء ودفع الضر إنما يكون بإذن الله تعالى .

* * *

(١) مسلم (٢٢٠٠) ، وأبو داود (٣٨٨٦) .

فصل

في حماية الشريعة لجناب التوحيد

اعتنت الشريعة بسد الذرائع ودفع وإبطال كل ما يوصل إلى الشرك وذلك بمنع وتحريم هذه الأمور الآتية :

* **فمن ذلك تحريم إقامة المساجد على القبور ، أو الصلاة عليها** ، قال النبي ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد »[١] .

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : « لما مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة فذكرت من حسنها وتصاويرها قالت : فرفع النبي ﷺ فقال : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا أو صوروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[٢] .

ومن ذلك النهي عن الذبح لله في مكان يشرك فيه بالله :

عن ثابت بن الضحاك قال : نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال : « هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ » قالوا : لا ، قال : « هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ » قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ : « أوف بنذرك »[٣] . و« **بوانة** » : مكان أراد الناذر أن يذبح عنده ، فانظر - رحمك الله - كيف اطمأن النبي ﷺ بأن هذا المكان لم يكن فيه مظهر من مظاهر الشرك مع أن الرجل نذر أن يذبح لله .

---

(١) **البخاري** (١٣٣٠) (١٣٩٠) (٤٤٤١) ، **ومسلم** (٥٢٩) .

(٢) **البخاري** (٤٢٧) ، **ومسلم** (٥٢٨) .

(٣) صحيح : رواه أبو داود (٣٣١٣) ، والطبراني في الكبير (٢/٧٥) ، وابن ماجه (٢١٣٠) من حديث ابن عباس .

قال في « فتح المجيد » : وفيه سد الذريعة وترك مشابهة المشركين ، وقوله ﷺ : « أوف بنذرك » بعد أن استفصل عن عدم وجود وثن في الماضي ، أو عيد من أعياد الجاهلية يدل على أن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله ، أو كان فيه اجتماع من اجتماعات الجاهلية نذر معصية لا يجوز الوفاء به بإجماع العلماء .

ومن ذلك النهي عن إطراء الصالحين والغلو فيهم :

قال ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد ؛ فقولوا : عبد الله ورسوله »[1] رواه البخاري .

ومعنى الإطراء : مجاوزة الحد في المدح .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] . قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم ، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت .

قال ابن القيم رحمه الله : (ومن أسباب عبادة الأصنام : الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته ، حتى جعلوا فيه حظًا من الإلهية ، وشبهوه بالله تعالى ، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم ، الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله) .

وقال أيضًا رحمه الله : (وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور ، ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين ، وأن الدعاء عندها مستجاب ، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله

---

(١) **البخاري** (٣٤٤٥) ، وأحمد (١/٢٣) .

بها ، فإن شأن الله أعظم من أن يُقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه .

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وسؤاله والشفاعة من دون الله ، واتخاذ قبره وثنًا تعلق عليه القناديل والستور ، ويطاف بها ، ويستلم ، ويقبل ، ويحج إليه ، ويذبح عنده .

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا ونسكًا ، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم ، وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ ، من تجريد التوحيد ، وأن لا يعبد إلا الله .

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية ، وحطهم عن منزلتهم ، وزعم أنه لا رحمة لهم ولا قدر ، فيغضب المشركون ، وتشمئز قلوبهم كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر : ٤٥] .

سرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام ، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ، ورموهم بالعظائم ، ونفروا الناس عنهم ، ووالوا أهل الشرك وعظموهم ، وزعموا أنهم أولياء الله ودينه ورسوله ، ويأبى الله ذلك ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال : ٣٤] .

ومن ذلك النهي عن التصاوير :

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله »[١] متفق عليه . و« المضاهاة » : المشابهة .

---

(١) البخاري (٥٩٥٤) ، ومسلم (٢١٠٧) ، والنسائي (٢١٤/٨) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم»[1] متفق عليه.

قال الألباني: (ولا فرق في التحريم بين التصوير اليدوي والتصوير الآلي والفوتوغرافى، بل التفريق بينهما جمود وظاهرية عصرية)[2].

ومن ذلك النهي عن اعتقاد الطيرة والعدوى:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا طِيَرة، ولا هَامة، ولا صفر»[3].

ومعنى «**الطِيَرة**» التشاؤم سواء كان ذلك بيوم معين أو شخص معين أو حديث معين، لأن كل ذلك ينافي التوكل.

ومعنى «**الهامة**»: قال الفراء: «الهامة» طير من الليل، قال ابن الأعرابي كانوا يتشاءمون بها، إذا وقفت على بيت أحدهم يقولون: نعت إليّ نفسي.

ومعنى «**لا صفر**» قيل: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وقيل المراد به شهر صفر، وقد كانوا يحلون المحرم (وهو من الأشهر الحرام) ويجعلون مكانه (صفر)، فيجعلونه من الأشهر الحرم. وإنما كانوا يفعلون ذلك لأنهم كانوا يتشاءمون لصفر.

«ولا عدوى»: يعني أن المرض لا ينقل بنفسه، فليس له تأثير بذاته، بل بإذن الله عز وجل.

* * *

(١) **البخاري** (٢٢٣٥)، **ومسلم** (٢١١٠)، وأحمد (٣٠٨/١).

(٢) انظر آداب الزفاف للألباني، وكتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص١٤).

(٣) **البخاري** (٥٧١٧)، **ومسلم** (٢٢٢٣)، وأبو داود (٣٩١١).

حكم التوسل

معنى التوسل : طلب الوسيلة والقُربى ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] .

واعلم أن التوسل ينقسم إلى قسمين ؛ الأول : مشروع . والثاني : غير مشروع .

أما التوسل المشروع فأنواعه كما يلي :

١- التوسل بأسماء الله وصفاته : قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

٢- التوسل بالأعمال الصالحة : كتوسل الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فدعوا الله بصالح أعمالهم حتى فرَّج الله عنهم[١] .

٣- التوسل بدعاء الصالحين : كقول عمر في عام القحط : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ، ونحن نتوسل إليك بعم نبينا فقام العباس فدعا الله ﷯ »[٢] .

وأما التوسل غير المشروع : فهو التوسل بالأولياء والصالحين كأن يتوسل بالنبي ، أو بجاه النبي ، فكل ذلك باطل لا يصح وليس مع الذين يجيزون هذا التوسل دليل صحيح صريح في جوازه .

* * *

---

(١) **انظر البخاري** (٢٢٧٢) ، **ومسلم** (٢٧٤٣) .

(٢) **البخاري** (١٠١٠) ، والطبراني في الكبير (٧٢/١) .

التحذير من بعض الألفاظ[1]

* **فمن ذلك** : سب الدين ، أو سب المصحف ، أو سب الرسول ، أو الاستهزاء بشيء من ذلك فكل هذا كفر يخرج صاحبه من الدين .

* **ومنها** : قولهم : الدين للّه والوطن للجميع ، وهذا باطل : قال تعالى : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة : ١٢٠] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف : ١٢٨] .

* **ومنها** : قولهم : « لا بديل عن الديمقراطية » ، فإن ذلك مناف لقبول شرع الله ﷻ ، والديمقراطية حكم الشعب للشعب ، وهذا لا يجوز لأن الحكم لله .

* **ومنها** : قول بعضهم عن النبات هذا « اللاوي » وعن بعضه هذا « شيطاني » فاللفظ الأول فيه سوء أدب مع الله وتحريف للفظ « الله » والصحيح أن يقال إلهي ، واللفظ الثاني فيه شرك لأنه لا ينسب إلى الشيطان خلق .

* **ومنها** : قول بعضهم : « عملت إللي عليّ والباقي على الله » . والصحيح أن يقول عملت ما أعانني الله عليه ، والتوفيق من الله .

* **ومنها** : قول بعضهم : « اصطبحت بوش مين النهار ده » وهذا من التشاؤم وقد سبق النهي عنه .

* **ومنها** : قولهم : « خمسة وخميسة » أو « امسك الخشب » يقصدون بذلك دفع العين . وهذه استعاذة بغير الله ، وقد تقدم تحريم ذلك .

* **ومنها** : قول بعضهم : « ربنا عرفوه بالعقل » ، وهذا باطل لأن الله فطر

---

(١) وقد استفدنا من كتاب « تنبيهات شرعية » لأبي الفضل عبد السلام بن عبد اللّه ، وكتاب « النبراس المخالف للشريعة من كلام الناس » للشيخ فكري الجزار .

العباد على التوحيد ، وأرسل الرسل لهداية الخلق .

* **ومنها** : قول بعضهم : « اسم النبي حارسه » ، والصحيح أن يقول حفظه الله ونحو ذلك .

* **ومنها** : قول بعضهم : « حظي وحش » ، أو « أسعدني الحظ » . « من حسن الطالع » ، وهذا يتنافى مع الإيمان بأن كل شيء بقدر .

* **ومن ذلك** قول بعضهم : « شكلك غلط » ، وهذا يتنافى مع الإيمان ، بأن كل خلق الله حسن .

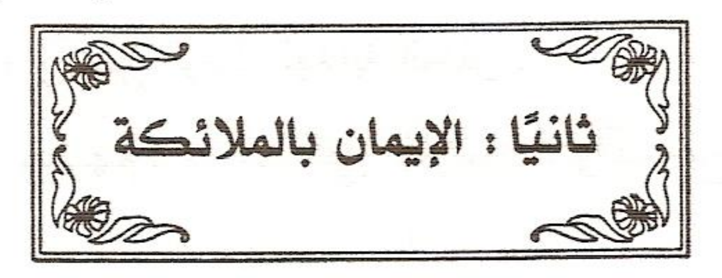
* **ومنها** : قول بعضهم « من زار الأعتاب ما خاب » ، ويقصدون زيارة قبور الأولياء ، وهذه الكلمة لا تجوز كما أن نفس هذه الزيارة بدعية ويقع فيها من الشرك ما يقع .

* **ومنها** : قول بعضهم : « وهبته الطبيعة » ، أو « وهبه النيل » وهذا يتنافى مع الإيمان بأن الذي يهب العباد هو الله .

* **ومنها** : قول بعضهم « كثر خير الدنيا » ، والصحيح أن يقول : (الحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات) إن كان الشيء يسره ، أو يقول (الحمد للَّه على كل حال) إن كان الشيء لا يسره .

* **ومنها** : قول بعضهم إذا انكسرت سنته : « يا شمس يا شموسة خذي سنة الجاموسة وهاتي سنة العروسة » وهذا فيه إيحاء للأطفال بغرس الشرك في قلوبهم وذلك باعتقادهم أن الشمس ستمنحه سِنةً غير التي انكسرت .

* * *



ثانيًا : الإيمان بالملائكة

الملائكة : عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله ، وهم كرام بررة ، طاهرون ذاتًا وصفة وأفعالًا ، مطيعون لله ﷻ ، لا يعصون الله - تعالى - ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

والإيمان بهم يتضمن أمورًا :

(١) مم خلقوا ؟

ثبت في صحيح مسلم : عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجانُّ من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »(١) ، وهذا النور الذي خلقت منه الملائكة لا نخوض من أي نور هو ويكفي أن نقول : إنها خلقت من نور ، كما ورد في الحديث(٢) ، وأن هذا النور مخلوق ، ليس هو نور ذات اللّه سبحانه وتعالى .

* * *

(٢) متى خلقوا ؟

الملائكة خلقت قبل الإنسان لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] . فهذا يدل على أن الملائكة كانت مخلوقة قبل خلق آدم عليه السلام .

---

(١) مسلم (٢٩٩٦) ، وأحمد (٦/١٥٣) ، وابن حبان (٦١٥٥) .

(٢) ورد في بعض الآثار أنهم خلقوا من نور العزة ، وفي بعضها أنها خلقت من نور الصدر والذراعين ، وكل هذه الآثار غير صحيحة ، كما ورد في بعض روايات الحديث أنها خُلقت من نور العرش ، وهى رواية شاذة .

(٣) صفاتهم الخلقية :

(أ) عِظَم خلقهم : قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم : ٦] .

وقد ورد في القرآن والسنة وصف لجبريل عليه السلام ، وأحد ملائكة حملة العرش .

أما وصف جبريل ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال في وصف جبريل عليه السلام : « رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِه ما بين السماء والأرض »[١] .

وقال الله ﷻ في وصفه : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير : ١٩ - ٢١][٢] .

ومعنى ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ : أي : شديد الخلق شديد البطش والفعل ، ﴿مَكِينٍ﴾ : أي : له مكانة عند الله ﷻ ومنزلة رفيعة .

وأما عن وصف أحد حملة العرش فقد روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أُذِن لي أن أحدث عن أحد حملة العرش : ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام »[٣] .

(ب) ومن صفات خلقهم : أن لهم أجنحة كما قال تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى

---

(١) رواه مسلم (١٧٧) ، والترمذي (٣٠٦٨) ، وأحمد (٦/٢٣٦) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٤/٤٧٩) .

(٣) صحيح : أبو داود (٤٧٢٧) ، والطبراني في الأوسط (٢/١٩٩) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١) .

ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

وفي مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «رأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل من الدر واليواقيت»(١).

(جـ) **لا يوصفون بالذكورة ولا بالأنوثة**، وقد أنكر الله عز وجل على مشركي العرب اعتقادهم بأن الملائكة إناث فقال – تعالى –: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

(د) **الملائكة لا يأكلون ولا يشربون**، ولذا لما جاءوا ضيفانًا على إبراهيم عليه السلام في صورة بشر وقدم إليهم الطعام – لأنه لم يعرفهم – لم يأكلوا منه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠].

(و) **ومن صفاتهم** أن لهم قدرة على التشكل بغير أشكالهم فمن ذلك:

* إرسال الله جبريل إلى مريم في صورة بشر قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٦، ١٧].

* وكان جبريل يأتي للنبي ﷺ في صورة رجل يسأل عن أمور الدين كما

---

(١) **إسناده حسن**: رواه أحمد (١/٣٩٥ – ٤١٢ – ٤٦٠)، وابن حبان من حديث ابن مسعود.
و (التهاويل): الأشياء المختلفة الألوان.

ورد في الصحيحين عن عمر بن الخطاب ﷺ : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد - ... الحديث - وفيه : أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وأشراط الساعة ثم قال ﷺ : « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »[١] .

* وثبت أن جبريل عليه السلام كان كثيرًا ما يأتي رسول الله ﷺ في صورة رجل من الصحابة يسمى : « دحية الكلبي » وأن الصحابة رأوه على هذه الصورة[٢] .

* وقد تنزل الملائكة عند سماع القرآن في مثل الظلة فيها أمثال السرج ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه ، فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ، ثم جالت ، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى - أي ابنه - فقمت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السُّرج عرجت في الجو ما أراها - الحديث ، وفيه أنه أخبر النبي ﷺ بذلك فقال : « اقرأ يا ابن حضير ، تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم »[٣] . ومعنى « السرج » : القناديل ، و« المربد » :......

* * *

(٤) تفاضل الملائكة :

والملائكة متفاوتون في المنزلة عند الله كما هم متفاوتون في الخلقة .

---

(١) مسلم (٧) ، والترمذي (٢٦١٠) ، وأبو داود (٤٦٩٥) ، والنسائي (٨/٩٧) .

(٢) انظر : النسائي (٨/١٠١) ، وأحمد (٦/٧٤) .

(٣) رواه البخاري تعليقًا (٩/٦٤) ، ومسلم (٧٩٦) ، وأحمد (٣/٨١) .

فأما تفاوتهم في الخلقة فقد تقدم أن منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أكثر من ذلك ، وأن جبريل له ستمائة جناح . فهذا تفاوتهم في الخلقة .

وأما تفاوتهم في المنزلة فقد قال الله – تعالى – عنهم : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾ [الصافات : ١٦٤] .

وأفضل الملائكة : الذين شهدوا بدرًا مع رسول الله ﷺ كما ثبت في الحديث عن رفاعة بن رافع « أن جبريل جاء للنبي ﷺ فقال : ما تعدون من شهد بدرًا فيكم ؟ قلت : خيارنا ، قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة »[١] .

وأفضلهم : جبريل عليه السلام ، قال الله – تعالى – في وصفه : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ [التكوير : ١٩ – ٢١] .

* * *

(٥) صفاتهم الخُلُقية :

الملائكة موصوفون بالأخلاق الحميدة والصفات الفاضلة فمن ذلك :

(أ – ب) أنهم كرام بررة ، قال تعالى : ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس : ١٥، ١٦] .

(جـ) أنهم مطهرون ، قال تعالى : ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة : ٧٩] .

(د) أنهم يستحيون ، وفي الحديث قال ﷺ : « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة »[٢] .

---

(١) **رواه البخاري** (٣٩٩٢) ، وابن ماجه (١٦٠) .

(٢) **رواه البخاري** (٢٤٠١) ، وأحمد (٦/١٥٥) .

(هـ) أنهم لا يحبون الأشياء الكريهة: كما ثبت في الحديث: «إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[(١)].

* * *

(٦) عدد الملائكة:

لا يعلم عدد الملائكة أحد إلا الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وقد وردت بعض الأحاديث يتبين من خلالها كثرتهم، فقد ثبت في حديث الإسراء أن النبي ﷺ رأى إبراهيم عليه السلام في السماء السابعة مسندًا ظهره إلى البيت المعمور قال: «فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[(٢)].

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله ﷺ في أصحابه إذ قال لهم: أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء قال: «إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم»[(٣)].

ومعنى «أطيط»: (قال الجوهري: الأطيط: صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها)[(٤)].

فالمقصود إذن كثرة الملائكة حتى يسمع صوت السماء.

---

(١) مسلم (٥٦٤)، والنسائي (٢/٤٣)، وابن ماجه (٣٣٦٥).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢).

(٣) الطبراني في الكبير (٣/٢٠١)، ومشكل الآثار للطحاوي، وقال الألباني: صحيح على شرط مسلم. «السلسلة الصحيحة» (٨٥٢).

(٤) لسان العرب (٧/٢٥٦).

(٧) أسماء الملائكة :

للملائكة أسماء ، لكن لا نعلم إلا بعض هذه الأسماء مما ورد في القرآن والسنة فمن ذلك :

* **جبريل** : وهو الملك الموكل بالوحي ، وقد وصفه الله بالروح الأمين ، وبروح القدس .

* **ميكائيل** : وهو الملك الموكل بالسحاب والأمطار .

* **إسرافيل** : وهو الملك الموكل بالنفخ في الصور .

هؤلاء الثلاثة شملهم حديث النبي ﷺ في دعائه : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ؛ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »[(١)] .

* **مالك** : وهو خازن جهنم قال تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف : ٧٧] .

* **منكر ونكير** : وهما الموكلان بالسؤال في القبر .

* **هاروت وماروت** : وهما ملكان أنزلهما الله ﷻ إلى الأرض ليختبرهم كبني آدم[(٢)] . وردت أسماؤهما في سورة « البقرة » في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

* **رقيب وعتيد** ، والصحيح أنهما وصفان للملكين الذين يسجلان الأعمال

---

(١) مسلم (٧٧٠) ، وأبو داود (٧٦٧) ، والترمذي (٣٤٢٠) ، والنسائي (٣/٢١٢) ، وأحمد (٦/١٥٦) .

(٢) مستدرك الحاكم (٢/٤٨٠) ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

وليسا اسمين لهما . قال تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ .

تنبيه :

أورد بعض العلماء عزرائيل ملك الموت ، ولم يأت في القرآن والسنة تسميته بعزرائيل ، والأولى أن يقال عنه ملك الموت فقط ، ولا نذكر اسمًا وقوفًا مع القرآن والسنة . كما ورد في بعض الآثار أن خازن الجنة يقال له رضوان ، ولم أر ذلك في حديث صحيح .

* * *

(٨) عبادة الملائكة :

وصف الله الملائكة بأحسن صفات العبودية فقال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٦] .

فمن تمام عبوديتهم لله ﷻ :

(أ) أنهم لا يعصون الله ﷻ ما أمرهم : قال تعالى : ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم : ٦] .

(ب) أنهم يخافون الله ﷻ ويخشونه . قال تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل : ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٨] .

وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ مر على ميكائيل ليلة المعراج فقال النبي ﷺ لجبريل : « يا جبريل مالي لا أرى ميكائيل ضاحكًا ، قال : إنه لم يضحك قط مذ خلقت النار »[١] .

---

(١) حسن : رواه أحمد (٢٢٤/٣) ، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١١) .

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة، أو قال رعدة شديدة خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا لله سجدًا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله بالوحي»(١).

(جـ) أنهم لا يعترضون على أوامر الله قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

(د) أنهم يسبحون الله لا يفترون، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الشورى: ٥].

(هـ) والملائكة يصلون ويحجون ففي صحيح البخاري قال رسول الله ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» قالوا: كيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصف الأول فالأول، ويتراصون في الصف»(٢).

وتقدم أن رسول الله ﷺ قال – في ليلة المعراج –: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه آخر ما عليهم»(٣).

والبيت المعمور هو كعبة الملائكة في السماء يحجون إليه وهو بحيال الكعبة.

* * *

---

(١) **صحيح**: رواه ابن خزيمة، وابن جرير، وأصله ثابت في الصحيحين.

(٢) **البخاري** (٣٢٠٧)، **ومسلم** (١٦٢).

(٣) **مسلم** (٤٣٠)، وأبو داود (٦٦١)، والنسائي (٢/٩٢).

(٩) وظائف وأعمال الملائكة :

قال تعالى : ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات : ١ - ٦] .

المرسلات : قيل : الملائكة ، وقيل : الرياح ، ولا شك أن الله يرسل الملائكة لتدبير أوامره . ومعنى : « **عرفًا** » أي : متتابعة .

العاصفات : قيل : الملائكة ، وقيل : الرياح ، وعلى تقدير حملها بالملائكة لأنها تعصف (تضرب) بأجنحتها في مضيها .

والناشرات : قيل : الملائكة ، وقيل الرياح ، وقيل : المطر ، وعلى تقدير حملها بالملائكة : لأنها تنشر كتب بني آدم وصحائف أعمالهم ، ولأنها تنشر أجنحتها في الجو صعودًا ونزولًا ، ولأنها تنشر أوامر الله في الأرض والسماء ، ولأنها تنشر النفوس فتحييها بالإيمان ، ويكون معنى « أنشر » يعني أحيا .

والراجح في الباقي (الفارقات - الملقيات) أنها الملائكة فهي بنشرها أوامر الله ، فرقت بين الحق والباطل ، وكان ما ألقته من الذكر إعذارًا وإنذارًا للناس .

وقال تعالى : ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات : ١ - ٣] .

والصافات : لأنها تصف عند ربها كما تقدم .

والزاجرات : لأنها تزجر السحاب ، أو لأنها تجيء بالآيات التي تزجر الناس .

فالتاليات ذكرًا : وهذه كالآية السابقة ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات : ١ - ٥] .

والنازعات غرقًا : الملائكة ، وهي تنزع أرواح بني آدم بعنف فتغرق في نزعها . (ومعنى الإغراق أن يبلغ به الغاية في النزع) .

والناشطات نشطًا : الملائكة تأخذ الروح بسهولة ، والمقصود السرعة والخفة والسابحات سبحًا : وهي الملائكة .

فالسابقات سبقًا : الملائكة تسبق إلى أمر الله .

والمدبرات أمرًا : الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربها . وهم المقصودون بقوله تعالى : ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ قال ابن عباس ﷺ : هم الملائكة وكلهم الله بأمور عرفهم العمل بها والوقوف عليها ، بعضهم لبني آدم يحفظون ويكتبون ، وبعضهم وكل بالأمطار والنبات والخسف والمسخ والرياح والسحاب .

ولنذكر بعض هذه الأعمال التي وردت في القرآن والسنة :

* **منهم الموكل بالوحي** ، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٩٧] ، وقال تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء : ١٩٣، ١٩٤] .

وهو روح القدس كما قال تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل : ١٠٢] .

وقد وصفه الله بأنه ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم : ٥، ٦] أي ذو منظر حسن جميل .

وقال تعالى في وصفه أيضًا : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير : ١٩ - ٢١] .

* **ومنهم الموكل بالقطر والسحاب وتصاريفه حيث أمره الله** ﷻ ، وهو

ميكائيل عليه السلام ، ففي سنن الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : « الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله »[1] .

وقد ثبت في الحديث : « أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن أسئلة قالوا عنها لا يعلمها إلا نبي ، فلما أخبرهم قالوا : من وليك من الملائكة ؟ قال : جبريل ، قالوا : جبريل الذي يأتي بالقتال والحرب !! لو كان ميكائيل الذي يأتي بالرحمة والقطر والنبات لاتبعناك »[2] .

* **ومنهم الموكل بالصور** ، وقد ثبت في الحديث قول النبي ﷺ : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ، وحنى جبهته ، وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ » ، قال المسلمون فكيف نقول يا رسول الله؟ قال : قولوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل ، توكلنا على الله ربنا - وربما قال سفيان - على الله توكلنا »[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش ، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه ، كأن عينيه كوكبان دريان »[4] .

---

(١) **صحيح** : الترمذي (٣١١٧) ، والنسائي في الكبرى (٥/٣٣٦) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٥٥٣) .

(٢) رواه أحمد (١/٢٧٨) ، والطبراني في الكبير (١٢/٢٤٦) .

(٣) أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٠٩) من طرق عن أبي سعيد ، وابن عباس ، وزيد بن أرقم ، وأنس ، وجابر بن عبد الله ، والبراء بن عازب رضي الله عنهم .

(٤) **صحيح** : رواه الحاكم (٤/٦٠٣) وصححه ، وزاد الذهبي أنه على شرط مسلم ، قال الشيخ الألباني : أصاب الحاكم ، وأخطأ الذهبي ، أي أن الحديث صحيح فقط ، وليس على شرط مسلم .

* ومنهم الموكلون بقبض الأرواح وهو « ملك الموت »[(١)] ، وله أعوان ، قال تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة : ١١] ، وقال تعالى في بيان أعوانه : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال : ٥٠] .

وقد ورد في حديث البراء بن عازب ﷺ أنهم يأتون العبد بحسب عمله ؛ فإن كان محسنًا جاءته ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب ويجلسون منه مد البصر ، وإن كان غير ذلك جاءته ملائكة سود الوجوه سود الثياب ويجلسون منه كذلك مد البصر[(٢)] .

ثم إذا قبض ملك الموت روح العبد لم تدعها الملائكة في يده طرفة عين بل تضعها في حنوط حسب عمله ؛ إن كان محسنًا ففي كفن من كفن الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، وإن كانت غير ذلك وضعتها في المسوح - وهو الثياب الخشن - الذي تحمله ملائكة العذاب .

وقد وردت الآيات ببيان الصورة التي تنزع بها الأرواح .

أما أرواح الكفار والفجرة فهي تنزعها نزعًا شديدًا قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) ورد في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل ، ولم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء ، فالصحيح أن نقول : « ملك الموت » ، ولا نقول : « عزرائيل » ؛ لأن ذلك من الغيب الذي نحتاج فيه إلى بيان ذلك من القرآن ، أو السنة الصحيحة .

(٢) وهو حديث صحيح ، وسيأتي بتمامه ص١١٦ .

ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال : ٥٠] .

وأما أرواح المؤمنين فقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت : ٣٠، ٣١] .

* **ومنهم الموكلون بحفظ العبد** ، في حِلّه وارتحاله ، وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته .

قال تعالى : ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد : ١١] ، وقال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام : ٦١] .

قال ابن عباس رضي الله عنه : « المعقبات من الله هم الملائكة ؛ جعلهم الله ليحفظوا الإنسان من أمامه ومن ورائه ، فإذا جاء قدر الله الذي قدّر أن يصل إليه خلوا عنه »[1] .

وقال مجاهد : « ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن الإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك : وراءك ، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه »[2] .

* **ومنهم الموكلون بكتابة الأعمال :**

فيكتبون أعمال العباد من خير أو شر قال تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار : ١٠ - ١٢] .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٢/٦٦٢) .

(٢) تفسير الطبري (٧/٣٥٠) .

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

و« القعيد » : المترصد، و« الرقيب العتيد » : أي المراقب المعد ذلك.

وظاهر الآيتين أنه يكتب كل ما يصدر من الإنسان من أفعال وأقوال ظاهرة وباطنة لا يتركون شيئًا. لذلك قال تعالى عن المشركين: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقد ثبت في بعض الروايات أن ملك اليمين يكتب الحسنات، وملك الشمال يكتب السيئات. فقد روى البغوي عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإن عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر »[1].

ورواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن بلفظ: « إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة »[2].

ومما يدل على أنهم يكتبون الأعمال الباطنة قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢] فالآية على عمومها لكتابة الأعمال ظاهرها وباطنها.

---

(١) البغوي (١/٣٥٩).

(٢) حسن: رواه الطبراني في الكبير (٨/١٨٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/٣٩١)، وحسنه الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » (٢٠٩٧).

* ومنهم الموكلون بسؤال القبر وفتنته وهما منكر ونكير.

وقد جاء في وصفهما:

أ، ب - أنهما أسودان أزرقان. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أقبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر، وللآخر النكير... الحديث»[1].

جـ - أنهما جعدان[2] فقد روى الآجرّي عن أبي الدرداء أنه علم رجلًا فقال في حديثه: «فجاءك ملكان أزرقان جعدان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير»[3].

ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار:

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧١ - ٧٣] الآيات.

وقد ورد في بعض الآثار أن رئيس خزنة الجنة اسمه «رضوان» ولم يثبت في ذلك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالعلم عند الله.

وأما النار فقد ثبت في الآيات بيان عدد الخزنة واسم مقدمهم ورئيسهم، قال

---

(١) حسن: رواه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧)، وابن أبي عاصم في السنن (٨٦٤)، وهو في السلسلة الصحيحة للألباني (١٣٩١).

(٢) أي: شعرهما جعد، أو في وجوههما الجعد وهي العبوسة.

(٣) ابن أبي شيبة (٣/٥٣)، ورواه الآجري بإسناد رجاله ثقات، وهو موقوف على أبي الدرداء، وله حكم المرفوع.

تعالى : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر : ٣٠] . وقال تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف : ٧٧] ، ومما جاء في وصفهم أنهم غلاظ شداد ، قال تعالى : ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم : ٦] .

ومما ورد في توبيخهم لأهل النار ما ذكره الله - تعالى - في كتابه حيث قال : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر : ٤٩، ٥٠] .

ومنهم الموكلون بالرحم :

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات ؛ بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد .. »[١] .

ومنهم حملة العرش :

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر : ٧] ، وقال تعالى : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٧] .

قال الشيخ حافظ حكمي : (ومفهوم هذه الآية من قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أن حملة العرش ليسوا اليوم ثمانية)[٢] .

ويؤيد ذلك ما روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول

---

(١) البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) ، وأبو داود (٤٧٠٨) ، والترمذي (٢١٣٧) .

(٢) معارج القبول (٢/٦٦٧) .

الله ﷺ: «صدق أمية ابن الصلت في شيء من شعره:

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال رسول الله: «صدق»[(١)]. اهـ.

وهذا يدل على أنهم الآن أربعة[(٢)] أحدهم في صورة رجل، والثاني في صورة ثور، والثالث في صورة نسر، والرابع في صورة أسد.

ومنهم الموكل بالجبال:

وقد ثبت في حديث الطائف وعودة النبي ﷺ منها أنه أتاه جبريل عليه السلام فقال له: «إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا به عليك وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد؛ ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال ﷺ. بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا»[(٣)].

ومنهم القرين الذي يحث المؤمن على الخير ويدعوه إليه:

وقد ثبت في الحديث: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة»[(٤)].

ومنهم الذين يبشرون المؤمن عند موته:

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ

---

(١) **إسناده جيد**، ورواه أحمد (١/٢٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١١/٢٣٣)، وابن خزيمة في التوحيد، وصححه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١/١٢).

(٢) وأما حديث الأوعال وأنهم ثمانية؛ فإنه حديث ضعيف.

(٣) **رواه البخاري** (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥)، ومعنى «الأخشبان»: جبلا مكة المحيطان بها.

(٤) **رواه مسلم** (٢٨١٤)، وأحمد (١/٣٨٥).

تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] وغير ذلك من الأعمال. والله أعلم.

* **ومنهم من لهم أعمال غير ذلك**(١) فمنهم من يكتب أسماء من يذهب إلى المسجد يوم الجمعة، ومنهم من يتعاقبون في وقت الصلاة، ومنهم سياحون يبحثون عن مجالس الذكر، ومنهم من تظلل الشهداء بأجنحتها، ومنهم من يشيعون جنازة الصالحين فقد شيع سعد بن معاذ رضي الله عنه سبعون ألف ملك.

* * *

(١٠) هل الملائكة تموت؟

نعم يموتون لقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]. هذا خبر عن موتهم يوم النفخ في الصور، ولكن هل يموتون قبل ذلك؟ الجواب: ليس هناك أدلة تبين لنا حقيقة الأمر، والعلم عند الله.

* * *

(١١) وجوب الإيمان بجميع الملائكة جملة:

والإيمان بما وصف منهم في القرآن والسنة، ولا يجوز لأحد أن يعادي ملكًا منهم، فمعاداة واحد منهم معاداة لجميعهم بل هو معاداة لله، وقد عادت اليهود - عليهم لعائن الله - جبريل عليه السلام فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ

---

(١) سردت هنا بعض أعمالهم بدون ذكر الأدلة؛ حتى لا يطول بنا الكتاب، وهي كثيرة صحيحة مشتهرة بفضل الله تعالى.

فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

* * *

(١٢) المفاضلة بين الملائكة والبشر[1]:

نلاحظ أن المفاضلة المقصودة إنما هي بين الملائكة وصالحي البشر، فلا يدخل في ذلك الكفرة والمنافقون؛ لقول الله – تعالى –: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

تفاضل الملائكة وصالحي البشر:

وقد تنازع العلماء في ذلك أيهما أفضل، فمنهم من يفضل الملائكة، ومنهم من يفضل صالحي البشر على النحو الآتي:

(أ) حجة من يفضل صالحي البشر:

١- أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم.

٢- أن الله خلق آدم بيده، وخلق الملائكة بكلمته.

٣- أن الله تعالى قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٢٩] والخليفة يفضل على من ليس بخليفة.

٤- ومما يدل على تفضيلهم أن طاعة البشر أشق، والأشق أفضل فهم مجبولون على الشهوة والحرص والغضب والهوى وهي مفقودة في الملك.

٥- تفضيل آدم على الملائكة بالعلم وتعليمه إياهم بالأسماء.

٦- أن الله يباهي الملائكة بعبادة بني آدم كما ورد في كثير من الأحاديث.

(ب) حجة من يفضل الملائكة على صالحي البشر:

١- أنه ورد في الحديث: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن

---

(١) انظر كتاب «عالم الملائكة الأبرار» للدكتور عمر سليمان الأشقر.

ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه »[١] وهم الملائكة .

٢- قوله تعالى : ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ﴾ [الأنعام : ٥٠] ، وهذا يدل على علو مكانة الملك .

٣- أن البشر تقع منهم الزلات والهفوات والنقص والقصور بخلاف الملائكة .

(جـ) تحقيق القول في ذلك :

وقد جمع ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بين هذه الأقوال بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى ، وسكنوا الدرجات العلا ، وحياهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه ، وتجلى لهم ، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم .

والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم ، مستغرقون في عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] : (وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه)[٣] ، والله أعلم بالصواب .

* * *

---

(١) البخاري (٧٤٠٥) ، وأحمد (٤١٣/٢) .

(٢) بدائع الفوائد (٦٨٤/٣) .

(٣) ومن أراد مزيدًا من البحث فليرجع إلى « مجموع الفتاوى » (٣٥٠/١١) ، وإلى لوامع الأنوار (٢/ ٣٦٨) ، وإلى شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٣٨) .

(١٣) مسائل عامة :

١- قال السيوطي : سئلت : هل يكونون - أي : الملائكة - مع بني آدم عند القيام لرب العالمين .

والجواب : نعم .

٢- قال وسئلت : هل يشفعون في العصاة من بني آدم .

والجـواب : نعم . قال تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم : ٢٦] .

٣- رؤية الملائكة الآن ممكنة كرامة يتكرم الله بها على من يشاء من عباده .

قُلْتُ : لكن لا يراه أحد على صورته الحقيقية ، إلا ما ثبت من رؤية النبي ﷺ لجبريل على صورته الحقيقية مرتين .

٤- **مسألة** : اعترض بعض الزنادقة على كتابة الملائكة الأعمال وقبض الأرواح بتعارضه مع حديث : « إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة » .

والجواب أن الحديث محمول على أنهم لا يدخلون هذا البيت دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبريك عليه ، ولا يمنع ذلك من دخولهم دخول إهانة .

والمقصود بهذه الملائكة ملائكة الرحمة ، وأما الحفظة فإنهم لا يفارقونه .

٥- **مسألة** : المصلي ينوي بالتسليمة التسليم على من يمينه من الملائكة وصالحي الجن والمؤمنين وعلى شماله كذلك[1] .

* * *

---

(١) راجع في ذلك كتاب « تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة » (كتاب الصلاة) للمؤلف .

الفوائد والثمرات من الإيمان بالملائكة[1] :

(١) معرفة عظمة الله وقوته وسلطانه . ويؤدي ذلك إلى الخضوع له سبحانه وتعالى .

(٢) إعطاء الملائكة حقهم في الموالاة والمحبة ، وعدم معاداتهم كما فعلت اليهود حيث إنهم عادوا جبريل عليه السلام . وقال تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة : ٩٧] .

(٣) إنزالهم منازلهم بأنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن مُكلّفون مأمورون ؛ فلا تبالغ بوصفهم بشيء يؤدي به إلى جعلهم آلهة من دون الله .

(٤) أن يشكر العبدُ ربه على ما أولاه من عناية له بأن وظف ملائكة من ملائكته بحفظه وتدبير أموره كما تقدم .

(٥) استشعار الإنسان بوجود الملائكة معه مما يجعله يحافظ على المداومة على الأخلاق الفضيلة وترك الأخلاق الذميمة .

(٦) الاستئناس بهم في طاعة الله عز وجل كحديث الجلوس في المسجد بعد الصلاة .

(٧) الثبات على الحق وعدم الاغترار بكثرة الهالكين ، ويكفيه أنه على الطاعة التي عليها الملائكة المقربون .

* * *

---

(١) من كتاب « الثمرات الزكية في العقائد السلفية » للشيخ أحمد فريد بتصرف .



ثالثًا: الإيمان برسل الله عليهم السلام

ويتضمن الإيمان بالرسل أمورًا:

(١) وجوب الإيمان بجميع الرسل:

● فالإيمان بالأنبياء والرسل أحد أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

● وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

● ومن كفر بالرسل وهو يزعم أنه مؤمن بالله فإن إيمانه لا يصح، بل هو في حقيقة الأمر كافر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

● والإيمان بالرسل ينبغي أن يعم جميع الرسل، ومن كفر برسول واحد فهو في عداد الكافرين بجميع الرسل لأن الكل مرسل من الله قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

ومعلوم أن نوحًا كان أول رسول ومع ذلك فإن الله تعالى وصفهم بتكذيبهم لجميع الرسل.

تنبيه : الفرق بين الرسول والنبي :

أشهر ما ورد في الفرق بين الرسول والنبي قولان :

الأول : الرسول هو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه ، والنبي من أوحى إليه ولم يؤمر بالبلاغ .

الثاني : الرسول من أوحى إليه بشرع جديد ، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله . أي لم يأت بشرع جديد إنما يبلغ بشرع الرسول الذي قبله .

وهذا الثاني هو الراجح - والله أعلم - لأنه قد ثبت أن الأنبياء كانوا يبلغون الناس مثل داود وزكريا ويحيى ، وكما ورد في الحديث : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما مات نبي خلفه نبي »[1] ، وهذا ينقض القول الأول الذي يقول : إن النبي لا يؤمر بالبلاغ .

* * *

(٢) عدد الأنبياء والرسل :

* نؤمن بأن الله ﷻ أرسل في كل أمة رسولًا قال تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] .

* ومن رحمته بعباده أنه سبحانه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] .

* وقد بين النبي ﷺ عدد الأنبياء وعدد الرسل جملة فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذر ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، كم المرسلون ؟ قال : « ثلاثمائة وبضعة عشر جمًا غفيرًا » ، وفي رواية قال أبو ذر قلت : يا رسول الله ،

---

(١) البخاري (٣٤٥٥) ، ومسلم (١٨٤٢) .

كم وفاء عدد الأنبياء؟ قال: « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا »[1].

* هذا العدد الكثير من الأنبياء نؤمن به إجمالًا، لكننا لا نعرف تفاصيل أخبارهم ولا نعرف من أسماءهم إلا عددًا قليلًا منهم، وهو ما ورد في القرآن والسنة، والباقي لم يقصهم الله ﷻ علينا قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

* وهؤلاء الرسل والأنبياء الذين ذكرهم الله في القرآن خمسة وعشرون نبيًّا ورسولًا، ورد منهم ثمانية عشر في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

فهؤلاء ثمانية عشر: يزاد عليهم: آدم، وهود، وصالح، وشعيب، وإدريس، وذو الكفل، ونبينا محمد ﷺ.

والراجح عندي أن يضاف إلى هؤلاء الأنبياء: الخضر عليه السلام، وقد اختلف العلماء هل كان نبيًّا أم رجلًا صالحًا؟ والصحيح - والله أعلم - أنه نبي، لأنه قال في آخر كلامه فيما حكاه الله عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾، ومن ذلك قوله

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/١٧٨)، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٧).

تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف : ٦٥] . فالظاهر أن هذه الرحمة رحمة النبوة ، والعلم علم الوحي ، هذا بالنسبة للخضر .

وأما ذو القرنين ، وتُبّع فقد اختلف في نبوتهما كذلك ، لكن الأفضل عدم الخوض في ذلك وأن نكل علم ذلك إلى الله وذلك لقول رسول الله ﷺ : « ما أدري أتبع نبيًا أم لا ؟ وما أدري ذا القرنين نبيًا أم لا ؟ »[1] .

* وجميع هؤلاء الأنبياء من نسل إسحاق بن إبراهيم عليه السلام عدا محمدًا ﷺ فإنه من نسل إسماعيل عليه السلام .

ويلاحظ أن إدريس ، ونوحًا ، وهودًا ، وصالحًا كانوا قبل إبراهيم عليه السلام ، وأن لوطًا في عهد إبراهيم .

* ذكر الله عز وجل في كتابه الأسباط ، وهم أولاد يعقوب عليه السلام ولم يذكر من أسمائهم إلا يوسف عليه السلام ، ولكن هل كانوا أنبياء ؟ . يرى بعض المحققين أنهم صاروا أنبياء ، والذي يظهر من كلام ابن كثير في تفسيره أن الأسباط هم شعوب بني إسرائيل ، وما أنزل الله من الوحي على الأنبياء الموجودين فيهم . ولا يلزم من ذلك أن يكونوا هم - أي : أبناء يعقوب - جميعًا صاروا أنبياء ، والعلم عند الله .

ورد في السنة أسماء لبعض الأنبياء فمن ذلك :

شيث : قال ابن كثير رحمه الله : (وكان نبيًا بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر مرفوعًا : « أنه أنزل عليه خمسون صحيفة »[2])[3] .

---

(١) رواه الحاكم (٩٢/١)، والبيهقي (٣٢٩/٨)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٥٢٤).

(٢) رواه ابن حبان (٣٦١) .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٩٩/١) .

ويوشع بن نون : وهو فتى موسى عليه السلام ، وهو الذي فتح الله على يديه بيت المقدس بعد أن عاش بنو إسرائيل في التيه أربعين سنة قال رسول الله ﷺ : « غزا نبي من الأنبياء - الحديث - إلى أن قال - فغزا ، فدنا من القرية حين صلّى العصر فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها عليّ شيئًا »(١) ، وقد ثبت في الحديث « إن الشمس لم تحبس لأحد إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس »(٢) .

فدل ذلك بمجموع الحديثين أن النبي الذي حبست له الشمس هو يوشع بن نون عليه السلام .

تنبيه :

ذكر الأنبياء وبيان أسمائهم وتفاصيل قصصهم ينبغي عدم الخوض في ذلك إلا بالأدلة من القرآن أو السنة الصحيحة ، وعدم الخوض في الحكايات والروايات التي تنقل عن كتب بني إسرائيل فإن مثل ذلك لا يؤخذ جزمًا ، بل نقول لا نكذبه ولا نصدقه لأنها أخبار تحتمل الصدق والكذب اللهم إلا أن يأتي منها ما يوافق القرآن والسنة فنصدقه ، أو يأتي ما يخالف القرآن والسنة فنرده ونكذبه .

* * *

(٣) تفاضل الرسل :

*** الأنبياء والرسل هم أفضل الناس .**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء

---

(١) رواه مسلم (١٧٤٧) ، وأحمد (٣١٨/٢) ، وأحمد (٣١٨/٢) .

(٢) رواه أحمد (٣٢٥/٢) ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٢) .

على غيرهم من الصديقين والشهداء والصالحين) .

ومما يدل على تفضيلهم قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ الآيات إلى قوله تعالى : ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٨٣- ٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج : ٧٥] ، فهذا الاصطفاء ، وهذه الرفعة يدلان على تفاضلهم على بقية الخلق .

وقد ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر»[1] .

وهذا يدل على أن النبيين والمرسلين هم أفضل الخلق ، وأن أفضل رجل بعدهم أبو بكر رضي الله عنه .

* وقد فضَّل الله هؤلاء الرسل بعضهم على بعض .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء : ٥٥] .

وقال تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

ويمكننا أن نذكر هذا التفاضل على النحو الآتي :

(أ) فأفضلهم على الإطلاق هم الرسل الذين أوحى الله إليهم وشرع لهم الشرائع .

(ب) ويليهم في الطبقة الأنبياء : الذين أوحى الله إليهم وأمرهم بالبلاغ .

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣/٣٢٥) .

(جـ) وأفضل هؤلاء الرسل هم أولو العزم منهم وهم خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ. قال تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : ٣٥] ، وقال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى : ١٣] .

(د) وأفضل هؤلاء الخمسة هما الخليلان إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم قال تعالى : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء : ١٢٥] ، وقال ﷺ : « لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ولكن صاحبكم خليل الله »[1] ، والخلة هي تمام المحبة .

(هـ) وأفضلهما وأفضل الأنبياء والمرسلين هو نبينا محمد ﷺ فقد قال النبي ﷺ في الحديث : « أنا سيد ولد آم ولا فخر ، بيدي لواء الحمد يوم القيامة ، آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة »[2] .

تنبيهات :

١- وردت أحاديث بالنهي عن تفضيل بعض الأنبياء على بعض ، من ذلك ما رواه أبو سيعد الخدري رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال : « لا تخيروا بين الأنبياء »[3] . وهذا الحديث وما شابهه لا يعارض ما تقدم من الآيات التي فيها تفضيل بعض النبيين على بعض ، لأن النهي المذكور في الحديث يحمل على

---

(١) مسلم (٢٣٨٣) ، والترمذي (٣٦٥٥) ، وابن ماجه (٩٣) .

(٢) مسلم (٢٢٧٨) ، وأبو داود (٤٦٧٣) ، وأحمد (٢/ ٥٤٠) من حديث أبي هريرة ، ورواه الترمذي (٣٦١٥) ، وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري ، واللفظ لهما .

(٣) البخاري (٢٤١٢) ، ومسلم (٢٣٧٤) .

النهي عن التفضيل على وجه الحمية والعصبية ، أو ما يؤدي إلى فتنة وانتقاص لبعض الأنبياء . أو نحو ذلك .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : (قال العلماء : في نهيه عن التفضيل بين الأنبياء ، إنما نهي عن ذلك من يقوله برأيه ، لا من يقوله بدليل ، أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع ، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضليه)[1] .

٢- ادعى بعض أهل البدع أن هناك من هم أفضل من الأنبياء والرسل :

ففضلوا أئمتهم ومشايخهم على الأنبياء ، فالشيعة الإمامية يقولون : (إن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه مَلَك مقرب ولا نبي مرسل)[2] .

وكذلك غلاة الصوفية يذهبون إلى أن الولاية أفضل من النبوة حتى ذهب بعضهم أن جعل ما يسمى بخاتم الأولياء ، ثم ادعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء .

وهذه أقوال ساقطة لا تعتمد على دليل ، بل هي مخالفة للكتاب والسنة فالأنبياء أفضل البشر اصطفاهم الله من بين الخلق واختارهم لنبوته صلى الله عليهم وسلم قال تعالى : ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل : ٥٩] .

(٤) صفات الرسل :

غالى كثير من الناس في الرسل حتى أعطوهم فوق صفاتهم التي خلقوا عليها ، ومنهم من يعتقد فيهم أو في بعضهم الألوهية ولذلك أذكر هنا صفاتهم الخلقية أولًا .

---

(١) فتح الباري (٤١٦/٦) .

(٢) الحكومة الإسلامية للخميني (ص٥٢) .

أولًا : البشرية :

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف : ١١٠] ، ولذلك لما أنكر المشركون على المرسلين دعوتهم بأنهم بشر يريدون بهم الإضلال أجابتهم الرسل بأنهم بشر لكنهم فضلوا بالوحي فقال تعالى : ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم : ١٠، ١١] .

وقد استكبر كثير من المشركين على رسلهم وكفروا بهم وكان حجتهم في ذلك أنهم – يعني الرسل – بشر ، واقترحوا أن يرسل الله ملائكة ، وقد جاء ذكر ذلك مصرحًا به في غير موضع من القرآن فمن ذلك ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان : ٧] ، وقال تعالى : ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [الفرقان : ٧] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء : ٩٤] .

*** ولكن عندما نتأمل الأمر نجد أن الحكمة من إرسال الرسل بشرًا وأنهم لم يكونوا ملائكة تتلخص فيما يلي :**

(١) أن الناس لا يقدرون على رؤية الملك في صورته الحقيقة ، فهذا رسولنا ﷺ على ما أعطاه الله من القوة الجسمية والنفسية وهيأ لهذه المهمة كان يعالج من التنزيل شدة ، ولما جاءه الوحي بغار حراء أول مرة عاد إلى بيته يرجف وهو يقول : « زملوني زملوني » ، فرؤية الملائكة ليست بالأمر الهين ، ولذلك إذا جاءهم ملك فإنه سيكون في صورة رجل ، وعندئذ لا يتحقق مرادهم كما قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام : ٩] .

(٢) أنه إذا جاءهم الرسول ملكًا في صورته البشرية فإنهم لا يعرفونه من قبل ، ومن الممكن أن ينكروا عليه ، فهو غريب عنهم لم يعلموا شيئًا عن صدقه ، وأمانته ، ولذلك كانت رحمة الله بعباده أن أرسل الرسل من قومهم وبلسانهم قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم : ٤] ، وقال تعالى : ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

(٣) أن الرسل عندما يكونون من الملائكة لا يملكون معنى القدوة ، لأن الناس سيجدون لأنفسهم مبررًا في انحرافهم عن دعوة هؤلاء الملائكة ، وذلك لأنهم – أي : الملائكة – مفطورون على العبادة وليس فيهم هذه الشهوة التي أودعها الله في البشر ، فكانت الحكمة أن يكون هؤلاء الرسل من طبيعة البشر ليكون ذلك أمكن في التوجيه ، ثم في القدوة لهذا التوجيه .

ولا بد أن نفهم ونعتقد أن الرسول يختاره الله في أكمل الصفات الخِلْقية والخُلقية ، وهم خير الناس نسبًا ، فقد اصطفاهم الله ﷻ ؛ ولذلك ذكر العلماء من صفاتهم :

تمام الذكاء والفطنة : فهم أعقل الناس وأرجحهم عقلًا .

الصدق : فهم أصدق الناس لهجة فلا يكذبون أبدًا .

الأمانة : فهم أمناء الله على وحيه ، وغير ذلك من الصفات التي تدل على نُبل معدنهم .

* * *

ثانيًا : الرجولة :

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ [الأنبياء : ٧] ،

وقال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف : ١٠٩] .

ويتفرع مما سبق - أي من كونهم بشرًا - ما يلي :

أ- **الأنبياء لا يعلمون الغيب** . قال تعالى : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل : ٦٥] . وقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

ب- **مقتضى بشرية الرسل أنهم يتصفون بصفات البشر فمن ذلك :-**

* أنهم يولدون وأنهم يتزوجون ويولد لهم قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد : ٣٨] .

* أنهم يأكلون ويشربون ، قال تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان : ٧] .

* أنهم يموتون قال تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . وقال تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر : ٣] .

* أنهم يتعرضون للبلاء . بل هم أشد الناس بلاء كما ورد في الحديث عن سعد رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أي الناس أشد بلاء قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى المرء على قدر دينه ؛ فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة »[1] .

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨) ، وقال : حسن صحيح ، ورواه أحمد (١/١٧٢) ، وابن ماجه (٤٠٢٣) ، =

* وأنهم يعملون بأعمال البشر، فقد عملوا برعي الغنم، وقد سئل النبي ﷺ: «أكنت ترعى الغنم؟ فقال: وهل من نبي إلا وقد رعاها»[١].

وعمل النبي ﷺ بالتجارة.

وكان داود عليه السلام حدادًا قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وكان زكريا نجارًا كما ثبت ذلك في صحيح مسلم.

* * *

ثالثًا: تميزهم عن بقية الخلق:

ومع ذلك فإنهم قد تميزوا عن بقية البشر بأمور منها:-

* **تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الإسراء: «والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»[٢].

* **الأنبياء يخيرون عند الموت**، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة»[٣].

وثبت عنها أنه ﷺ كان يقول في مرضه الأخير: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قالت فعلمت أنه خُير»[٤].

* **الأنبياء يدفنون حيث يموتون**، روى الإمام أحمد في مسنده بسند

= وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٣).

(١) رواه البخاري (٢٢٦٢)، وابن ماجه (٢١٤٩)، ومسلم نحوه (٢٠٥٠) من حديث جابر.

(٢) رواه البخاري (٣٥٧٠).

(٣) رواه البخاري (٤٥٨٦)، ومسلم (٢٤٤٤).

(٤) البخاري (٤٤٣٥).

صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لم يقبر نبي إلا حيث يموت»[١]، ولما مات النبي ﷺ دفن في حجرة عائشة حيث مات عليه الصلاة والسلام.

* **الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء**، وقد ثبت ذلك صريحًا في الحديث: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[٢].

* **الأنبياء أحياء في قبورهم**، فعن أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»[٣]، وهذه حياة برزخية لا يعلم كيفتها إلا رب العالمين، فلا تخوض في معرفة ذلك بآرائنا وأوهامنا.

* **الأنبياء يفضلون على غيرهم بالوحي** قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى على ألسنة الرسل ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ٧].

وقد بين الله - ﷻ - كيفية الوحي إلى رسله فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، فدل ذلك على أن الوحي ثلاثة أقسام:

الأول: أن يوحي الله إليه، وقد فسر العلماء ذلك إما بالمنام وقد ثبت في الحديث «رؤيا الأنبياء وحي»، وفسره بعضهم بالإلقاء في القلب كما ثبت في الحديث: «إن روح القدس نفث في روعى - أي: قلبي - أن نفسًا لن تموت

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٧/١)، وعبد الرزاق (٥١٦/٣)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (١٠٣١)، والنسائي (٩١/٣)، وابن ماجه (١٠٨٥).

(٣) أبو يعلى (١٤٧/٦)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٢١).

حتى تستكمل رزقها وأجلها ؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب »[(١)].

الثاني : تكليم الله لرسله ، قال تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء : ١٦٣] ، وهذه خاصة لموسى ﷺ ، كما أن الله اتخذ إبراهيم خليلًا ، وقد نال النبي محمد ﷺ منزلة تكليم الله في ليلة المعراج فقط .

الثالث : إرسال الملك جبريل ﷺ إما في صورته الحقيقة أو أن يتمثل له بشرًا ، وهو الغالب أو يأتيه في مثل صلصلة الجرس فقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ سُئل : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : « أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال : وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول »[(٢)].

● **ومما يتميز به الرسل : العصمة :**

إجماع الأمة على أن الأنبياء معصومون في تحمل الرسالة وفي تبليغها ، قال تعالى : ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعلى : ٦ ، ٧] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة : ١٧ ، ١٨] . هذه بالنسبة للتحمل .

وأما بالنسبة للبلاغ فقد قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وهل هم معصومون من الذنوب كبيرها وصغيرها ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر

---

(١) **صحيح** : رواه ابن ماجه (٢١٤٤) ، وابن حبان (٣٢٣٩) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٧٤٢) .

(٢) **البخاري** (٢) (٣٢١٥) .

دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام)[١] .

* * *

(٥) معجزات الرسل :

أيد الله – ﷻ – رسله بالمعجزات الخارقة للعادة الدالة على صدق الرسل ، وهذه المعجزات يتحدى الرسول بها مخالفيه ، فهي علامة صدقه أنه مرسل من عند الله .

فمن هذه المعجزات ناقة صالح ، وعصا موسى ، وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى ، وغير ذلك من المعجزات .

وقد أيد الله النبي محمدًا ﷺ بكثير من المعجزات في مقدمتها معجزة القرآن الكريم – الإسراء والمعراج – انشقاق القمر – نبوع الماء من بين أصابعه ﷺ – تكليم الشجر والحجر له إلى آخر هذه المعجزات .

* * *

(٦) الحكمة من إرسال الرسل :

أو ما هي مهمة الرسل ؟ يمكننا للجواب على هذا السؤال أن نلخص مهمة الرسل في النقاط الآتية :

أ- الدعوة إلى عبودية الله تعالى والكفر بالطاغوت ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٠] .

ب- التبشير والإنذار قال تعالى : ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء : ١٦٥] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣١٩) .

جـ- إقامة الحجة على العباد ، فمن آمن فهو من أهل الجنة ، ومن كفر استحق العذاب قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] . وقال تعالى : ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] .

و- تبليغ شرع الله للناس. قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩] وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] .

هـ- تزكية النفوس. قال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ، وقال تعالى على لسان موسى وهو يخاطب فرعون : ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] .

وغير ذلك من مهمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وبالجملة فهم القدوة التي ينبغي التأسي بهم في جميع شئون الحياة ، وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ الذي جعل الله شريعته ناسخة لجميع الشرائع قبله ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

* * *



رابعًا: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله

وهو التصديق والإقرار الجازم بما أنزل الله من الكتب والرسالات إلى أنبيائه ورسله.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

ويشمل هذا الإيمان أمورًا:

(١) الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله ﷻ: فما علمناه منها تفصيلًا وجب الإيمان به تفصيلًا، وما كان منها مجملًا وجب الإيمان به إجمالًا.

والكتب التي أعلمنا الله إياها في القرآن:

التوراة التي أنزلها الله على موسى ﷺ: وكتبها الله بيده قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ﷺ: قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٤٦].

الزبور الذي أنزله الله على داود ﷺ: قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩].

القرآن الذي أنزله على نبينا محمد ﷺ: قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣: ١٩٥].

* وقد ثبت في السنة أن « شيثًا » كان نبيًا وأنه أنزل إليه خمسون صحيفة.

(٢) نؤمن بأن هذه الكتب كانت واجبة على الأمم التي أنزلت فيهم ووجب عليهم الانقياد لأحكامها، وأن بعض هذه الكتب نسخ بعضها أو نسخ بعض أحكامها. وأن القرآن نسخ كل هذه الكتب ووجب على جميع الخلق إنسهم وجنهم الانقياد لأحكام القرآن قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

(٣) نؤمن بأن هذه الكتب يُصدِّق بعضها بعضًا: كما قال تعالى عن الإنجيل ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [المائدة: ٤٦]. وقال عن القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

(٤) نؤمن بأن هذه الكتب هي كلام الله حقيقة لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بلا واسطة، ومنها من يسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه إلى الرسول البشري قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

ومنها ما خطه الله بيده كما قال تعالى عن التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي

﴿ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف] .

(٥) الاعتقاد بأن من أنكر شيئًا مما أنزله الله[1] من هذه الكتب فهو كافر : كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] .

(٦) الإيمان بأن القرآن لا يأتي بعده كتاب ينسخه أو ينسخ بعض أحكامه ، وأن الله تعالى تكفّل بحفظه كما قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ، وأن من بدّل وغيّر شرع الله ﷻ ، أو من اعتقد أن غير القرآن أفضل من القرآن في التحاكم إليه[2] ، أو أن القرآن لا يصلح لعصرنا ، فهو كافر كما قال تعالى : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] .

(٧) نؤمن بأن هذه الكتب والشرائع نزلت لمقصد واحد ، وهو عبودية الله وحده لا شريك له . وأن هذه الكتب بينت للناس المنهج الذي به يستقيم سلوكهم ويكون حكمًا بينهم قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

---

(١) والمقصود بذلك ما أنزله الله على أنبيائه ورسله ، بخلاف ما بُدّل وحُرّف ، فالواجب بيان تبديله وتحريفه .

(٢) وهذا بخلاف من تحاكم إلى غير القرآن ، مع جزمه بأن القرآن هو الحق الذي ينبغي التحاكم إليه ، لكنه لهوى في نفسه تحاكم لغيره ، فهذا لا يكفر ، كما قال ابن عباس : « كفر دون كفر » ، فهذا الكفر ؛ كفر معصية لا يُخرج صاحبه من الملة .

وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وإذا كانت هذه الكتب اتفقت في المنهج وهو عبادة الله وحد لا شريك له فقد تنوعت شرائعها كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ولا يسع لأحد بعد نزول القرآن اتباع أي شريعة غير القرآن لأنه ناسخ لكل هذه الشرائع ومهيمن عليها.

(٨) نؤمن بأن التوراة والإنجيل الذي في أيدي اليهود والنصارى الآن قد دخلهما التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾ [المائدة: ١٥٠].

ومما يدل على تحريفه وتبديله ما فيه من تناقض، وما فيه من وصف لا يليق بالله ولا بأنبيائه.

تنبيهات:

(أ) القرآن الكريم: أشمل هذه الكتب لما ثبت في الحديث: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»[1].

---

(١) رواه أحمد (٤/١٠٧)، والطبراني في الكبير (٢٢/٧٦)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح =

(ب) الكتب السماوية المعروفة أنزلت كلها في شهر رمضان ، لما ثبت في الحديث : « أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لا ربع وعشرين خلت من رمضان »[١] .

* * *

= الجامع (١٠٥٩) .

« المفصل » : وهو ما كان مفصلًا بين سورة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ويبدأ من سورة (ق) أو (الذاريات) على خلاف بين أهل العلم) .

و « السبع الطوال » هي : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس .

ومنه من قال بدل يونس الأنفال والتوبة ، كما قال ابن عباس .

« المئون » ما كان من سور القرآن عدد آيه مئة آية أو أقل قليلًا .

« المثاني » : وهي على ثلاثة أقوال :

أحدها : هي الفاتحة .

ثانيهما : ما ثني المئين فتلاها وكان المئون لها أوائل وكان المثاني لها ثواني – أي ما تلت المئين في المصحف .

ثالثها : سميت مثاني لتثنية الله جل ذكره فيها الأمثال والخير والصبر وهو قول ابن عباس .

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٢/٧٥) ، والبيهقي (٩/١٨٨) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٤٩٧) .



خامسًا : الإيمان باليوم الآخر

ويشمل ذلك الإيمان بالموت وهو القيامة الصغرى ، والإيمان بالبعث وهو القيامة الكبرى .

أما القيامة الصغرى : فيشمل الإيمان بها أمورًا :

(١) نؤمن بالموت :

وهو أول منزل من منازل الآخرة ، وهو انقطاع تعلق الروح بالبدن وانتقاله من دار الدنيا إلى دار الآخرة ويشمل الإيمان بالموت ما يلي :

* الموت حتم لكل حي من المخلوقات ، قال تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص : ٨٨] ، وقال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

* للموت أجل محدود ووقت معلوم ، قدّره الله على كل مخلوق فلا يتأخر عنه ولا يتقدم ، فكل من مات أو قتل أو غرق أو احترق أو بأي وصف هلك فقد مات بأجله قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران : ١٤٥] ، وروى مسلم - رحمه الله - في صحيحه - عن المعرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت أم حبيبة رضي الله عنها : « اللهم متعني بزوجي رسول الله ﷺ ، وبأبي أبي سفيان ، وبأخي معاوية ، فقال لها رسول الله ﷺ : « إنك سألت الله تعالى لآجال مضروبة ، وآثار موطوءة ، وأرزاق مقسومة ، لا يعجل شيء منها قبل حله ، ولا يؤخر منها يومًا بعد حله ، ولو سألت الله تعالى أن

يعافيك من عذاب النار وعذاب في القبر لكان خيرًا لك »(١) .

* ونؤمن بأن ذلك الأجل المحتوم والأمد المحدود لانتهاء كل عمر لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به ، وأن ذلك من مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها قال تعالى : ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان : ٣٣] ، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها حاجة »(٢) .

* ونؤمن بساعة الاحتضار ، وذلك بأن يرسل الله ملائكه الموت لتقبض روح العبد قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام : ٦١] .

فأما المؤمن فإن الملائكة تبشره بالجنة كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت : ٣٠] .

وأما الفاجر الكافر فإن الملائكة تبشره بالنار قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال : ٥٠: ٥١] .

وقد بينت السنة قبض الروح ، نكتفي منها بما ثبت في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه لشموله ووضوحه قال البراء : « خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمّا يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ ، وجلسنا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٣) ، وأحمد (١/ ٣٩٠، ٤١٣، ٤٤٥) .

(٢) رواه الترمذي (٢١٤٧) ، وأحمد (٣/٤٢٩) ، وابن حبان (٦١٥١) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (١٢٨٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٢١) .

حوله كأن على رءوسنا الطير ، وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » مرتين أو ثلاثًا - ثم قال :

« إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء ؛ بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان - قال - فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الريح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى تنتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله ﷻ : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى .

قال : فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ - فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة فيأتيه من رَوْحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد البصر ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت

توعد. فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول ربّ أقم الساعة، ربّ أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر.

ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضبه، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السّفود[1] من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان بن فلان - بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا - حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول: الله ﷻ اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا - ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري. فيقولان: ما دينك؟ فيقول هاه، هاه، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه، هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي. فافرشوه من النار وافتحوا له بابًا إلى النار. فيأتيه من حرّها

---

(١) السفود: حديدة ذات شُعَب مَعَقَّفَة يشوي به اللحم، وجمعه سفائد. «لسان العرب» (٢١٨/٣).

وسمومها ويضيق عليه قبره تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : من أنت ، فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟ فيقول : أنا عملك الخبيث فيقول : ربِّ لا تقم الساعة »[1] .

* ونؤمن بسكرات الموت ، وهي كرباته وغمراته ، وقد عانى رسول الله ﷺ منها ، فقد ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة فيها ماء عند مرض وفاته ، فكان يدخل يده في الماء فيمسح بها وجه ويقول : « لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات »[2] .

* وعند الاحتضار يحب المؤمن لقاء الله ، ويكره الفاجر لقاء الله ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قالت : عائشة رضي الله عنها أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت ، قال : ليس كذلك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه ؛ فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته ، فليس شيء أكره إليه مما أمامه ؛ فكره لقاء الله وكره الله لقاءه »**[3] .

(٢) نؤمن بالقبر وفتنته ويتضمن ذلك أمورًا :

* **أن القبر أفظع شيء** ، ومن نجا منه فما بعده أيسر . كان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا

---

(١) رواه أحمد (٢٨٧/٤) ، وابن أبي شيبة (٥٤/٣) ، والحاكم (٩٣/١) ، وصححه الشيخ الألباني في كتابه « أحكام الجنائز » ، و« صحيح الجامع » (١٦٧٦) .

(٢) البخاري (٤٤٤٩) ، (٦٥١٠) .

(٣) البخاري (٦٥٠٧) ، ومسلم (٢٦٨٤) .

تبكي وتذكر القبر فتبكي ؟ فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة ؛ فإن نجا منه فما بعده أيسر ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه » ، قال : « وسمعت رسول الله ﷺ يقول : ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه »[١] .

* **ونؤمن بضمة القبر** ، وذلك بعد وضع الميت في قبره ، ولا ينجو منها أحد صغيرًا أو كبيرًا وسواء كان صالحًا أو غير صالح .

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن للقبر ضغطة لو كان أحدنا ناجيًا منها نجا سعد بن معاذ »[٢] .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو أفلت أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي »[٣] .

* **ونؤمن بفتنة القبر** ، وهو سؤال الملكين « منكر ونكير » فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ، محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه ، فيقال : لا دريت ولا تليت .. ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨) ، وابن ماجه (٤٢٦٧) ، وحسنه الشيخ الألباني ، انظر الجامع الصغير (١٦٨٤) .

(٢) صحيح : رواه أحمد (٨٩/٦) من حديث عائشة ، وثبت نحوه عند النسائي (١٠٠/٤) ، وله شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني في الكبير (٣٣٤/١٠) ، والأوسط (٣٤٩/٢) .

(٣) رواه ابن عدي في الكامل (١٠٨/٢) ، والطبراني في الأوسط (١٤٦/٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٧) .

يليه إلا الثقلين »[١] .

وتقدم في حديث البراء بن عازب أنهما يسألان الميت : من ربك ؟ وما دينك ؟ وما تقول في الرجل الذي بعث فيكم ؟ »[٢] .

* **ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه** ، وقد دلت على ذلك الآيات ، وتواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، ويتعلق بذلك أمور :

(أ) اعلم أن عذاب القبر ونعيمه من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها كما وردت به الآيات والأحاديث دون الخوض في كيفية ذلك بعقولنا ، لأن ذلك من عالم البرزخ ، فله كيفيته التي تخصه ، ولا يكون ذلك على ما هو معهود عندنا .

(ب) المقصود بعذاب القبر ونعيمه هو : « البرزخ »[٣] ، وعلى هذا فيشمل العذاب والنعيم لمن يستحقه سواء قبر أو لم يقبر ، حتى لو أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا وذري في الهواء ، أو غرق في البحر ، فكل ما يذكر عن القبر ثابت لهؤلاء من غير كيفية كما تقدم .

(جـ) أورد ابن القيم أن أسباب عذاب القبر مجمل ومفصل :

أما المجمل : فإنهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه .. فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه مستقل ومستكثر .

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٨) (١٣٧٤) ، ومسلم (٢٨٧٠) ، وأبو داود (٣٢٣١) ، والنسائي (٩٦/٤) .

(٢) انظر (ص١١٤ - ١١٦) .

(٣) والبرزخ : هو الفاصل بين الشيئين ، فالفاصل بين الدنيا والآخرة هو عالم البرزخ ، سواء كان الميت مقبورًا ، أو تناثرت أجزاؤه رمادًا ، أو أكلته السباع ، أو نحو ذلك ، فهو في عالم البرزخ .

ثم أورد الأسباب المفصلة فمنها ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ مر على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير - ثم قال: بلى إنه لكبير - أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله»[١].

ومنها: ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أصابه سهم فقتله فقال الناس هنيئًا له الجنة فقال رسول الله ﷺ: «كلا؛ والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لتشتعل عليه نارًا»[٢].

و «الشملة»: كساء يُشتمل به، والإشتمال: إدارة الثوب على الجسد كله.

وثبت في بعض الأحاديث تفصيل العذاب لمن زنى، أو أكل الربا، أو هجر القرآن، أو بسبب الكذب وغير ذلك:

ففي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ - يعني - مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قال فيقص عليه ما شاء أن يقص. وإنه قال لنا ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لى: انطلق، وإني انطلقت معهما وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ[٣] رأسه.

فيتهد[٤] الحجر هاهنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى. قال قلت لهما:

---

(١) البخاري (٢١٦) (٢١٨) (١٣٦١) (٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠).

(٢) البخاري (٣٢٣٤)، ومسلم (١١٥)، وأبو داود (٢٧١١)، والترمذي (٢٠٠١).

(٣) أي: يكسر ويشج.

(٤) أي: ينحطّ ويتدحرج.

سبحان الله ، ما هذان ؟ قال قالا لي : انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلُّوب[١] من حديد وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه[٢] ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، قال وربما قال أبو رجاء : فيشق - قال : ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى . قال : قلت : سبحان الله ما هذان ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على مثل التنُّور[٣] ، قال : فأحسب أنه كان يقول : فإذا فيه لغط[٤] وأصوات . قال : فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوا[٥] قال : قلت لهما : ما هؤلاء؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق .

قال : فانطلقنا فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول - أحمر مثل الدم ، وإذا في النهر رجل سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة ، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه[٦] ، فيلقمه حجرًا ، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه ، كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا . قال : قلت لهما : ما هذا ؟ قال : قالا لي : انطلق انطلق .

---

(١) حديدة معوجة الرأس ينزع بها اللحم من القدر .

(٢) يشق ويقطع جانب الفم إلى مؤخرة الشعر .

(٣) الكانون أو الفرن الذي يخبز فيه .

(٤) الأصوات التي لا تفهم .

(٥) ارتفع صوتهم ولغطهم .

(٦) فغر : فتح .

قال : فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مرآةً، وإذا عنده نار يحشها[١] ويسعى حولها ، قال : قلت لهما : ما هذا ؟ قالا لي : انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على روضة مُعْتَمَّة[٢] فيها من كل لون الربيع ، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولًا في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط . قال قلت لهما : ما هذا ، ما هؤلاء؟ قال: قالا لي : انطلق انطلق .

فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن . قال : قالا لي : ارق ، فارتقيت فيها ، قال : فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بِلَبِنِ ذهب ولبن فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا ، فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطر كأقبح ما أنت راءٍ، **قال : قالا لهم : اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال : وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض[٣] في البياض ، فذهبوا فوقعوا فيه . ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة .**

قال : قالا لي : هذه جنة عدن وهذاك منزلك . قال : فسما[٤] بصري صعدًا[٥] فإذا قصر مثل الربابة البيضاء[٦] ، قال : قالا لي هذاك منزلك ، قال قلت

---

(١) يحشها : يوقدها ويزيدها اشتعالًا .

(٢) أي : غطاها الخصب ، والمقصود كثرة نبتها .

(٣) الخالص والمراد خالص البياض .

(٤) نظر إلى فوق .

(٥) صاعدًا في ارتفاع .

(٦) السحابة البيضاء المنفردة .

لهما : بارك الله فيكما ، ذراني فأدخله ، قالا : أما الآن فلا ، وأنت داخله . قال : قلت لهما : فإني قد رأيت منذ الليلة عجبًا فما هذا الذي رأيت ؟ قال : قالا لي : أما إنا سنخبرك : أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة . وأما الرجل الذي أتيت عليه يُشَرْشَر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق ، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنُّور فهم الزناة والزواني ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا ، وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم ، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ ، وأما الوِلْدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة » ، قال : فقال بعض المسلمين : يا رسول الله وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله : « وأولاد المشركين ، أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسنًا وشطر قبيحًا ، فإنهم قوم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم »[١] .

(د) **وأما المنجيات من عذاب القبر** ، فقد أفاد ابن القيم إجمالًا : تجنب الأسباب التي تقتضي عذاب القبر .

وقد ورد تفصيل في بعض الأحاديث لمن يأمنون من عذاب القبر فمن ذلك المرابط في سبيل الله ، والشهيد ، والذي يموت يوم الجمعة ، والذي يموت بداء البطن .

ففي صحيح مسلم : قال رسول الله ﷺ : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتّان »[٢] يعنى : سؤال الملكين في القبر .

---

(١) البخاري (٧٠٤٧) - واللفظ له - ، وأحمد (٨/٥) .

(٢) مسلم (١٩١٣) ، والنسائي (٣٩/٦) .

وفي سنن النسائي « أن رجلًا قال : يا رسول الله ، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة »[١] .

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر »[٢] .

وعن عبد الله بن يسار ﷺ قال : « كنت جالسًا وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكروا أن رجلًا توفي مات ببطنه ، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهدا جنازته ، فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره ؟ »[٣] فقال الآخر : بلى ، وفي رواية : صدقت .

ومن الأسباب المنجية من عذاب القبر قراءة سورة الملك ، فصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له ؛ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ »[٤] .

(هـ) هل العذاب في القبر دائم أم ينقطع ؟

قال ابن القيم رحمه الله : جوابها أنه نوعان . نوع دائم ، وذكر الأدلة على ذلك - كقوله تعالى : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر : ٤٦] ، وفي بعض الأحاديث في ذكر عذاب القبر وفيه « فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة »[٥] .

---

(١) النسائي (٤/٩٩) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٤٨٣) .

(٢) الترمذي (١٠٧٤) ، ورواه أحمد (٢/١٦٩) ، وقال الألباني : (والحديث بمجموع طرقه صحيح ، أو حسن) . انظر صحيح الجامع (٥٧٧٣) .

(٣) الترمذي (١٠٦٤) ، والنسائي (٤/٩٨) ، وأحمد (٤/٢٦٢) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٦١) .

(٤) الترمذي (٢٨٩١) ، وأبو داود (١٤٠٠) ، وابن ماجه (٣٧٨٦) .

(٥) أحمد (٥/١٤) ، والطبراني في الكبير (٧/٢٤٢) ، وفي صحيح الجامع (٣٤٦٢) ، وأصله في البخاري (٤٠٤٧) .

والنوع الثاني : منقطع إلى مدة ، قال : وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم ، فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب ، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء ، أو صدقة ، أو استغفار ، أو ثواب حج ... إلخ[1] .

(و) العذاب والنعيم في القبر يقع على الروح والجسد معًا :

وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة ، وقد خالف في ذلك بعض طوائف المبتدعة ، فالمعتزلة ينكرون النعيم والعذاب في البرزخ مطلقًا ، ويرى بعض الفلاسفة أن العذاب والنعيم على الروح فقط .

(ز) ونؤمن بأن هذه الروح التي بالبدن مخلوقة بلا شك ، ولا يعلم حقيقتها إلا الله قال - تعالى - : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] ، لكن ورد لها صفات في القرآن والسنة ؛ بأنها تصعد ، وتهبط وتسمع ، وتبصر ، وتتكلم ، وأنها تعاد إلى القبر عند السؤال ، وأنها تنعم ، وتعذب ، كل ذلك بكيفية لا يعلمها إلا الله .

(ح) وقد اختلف العلماء في مستقر الأرواح بعد الموت على أقوال عدة ، والتحقيق ما رجحه ابن القيم رحمه الله[2] أن لكل روح مستقر يختلف عن غيرها :

* فأرواح الأنبياء في عليين في الملأ الأعلى ، لما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها في وفاة النبي ﷺ سمعته يقول : « في الرفيق الأعلى »[3] .

* وأرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ، ففي الحديث

---

(١) الروح لابن القيم (ص٨٩) .

(٢) الروح لابن القيم (ص١٠٧) .

(٣) رواه البخاري (٣٦٧٠) ، ومسلم (٢٤٤٤) . وفي رواية عند أحمد (٦/٢٧٤) « بل الرفيق الأعلى » .

سأل مسروق عبد الله بن مسعود ﷺ عن قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩] . فقال : إنا قد سألنا عن ذلك ، فقال : « أرواحهم في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل »[(١)] .

* وأرواح المؤمنين تكون طيرًا تعلق شجر الجنة ، فروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : « إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة »[(٢)] .

والملاحظ أن الفرق بين أرواح الشهداء وأرواح المؤمنين أن أرواح الشهداء تسرح بين شجر الجنة ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش تسرح حيث شاءت ، بينما أرواح المؤمنين طيرًا يعلق في ثمر الجنة ولم يذكر فيها انتقالها حيث شاءت .

* ومن المؤمنين من يكون محبوسًا على باب الجنة ، وهو من مات وعليه دين ، وقد ثبت في الحديث : « رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة »[(٣)] .

* ومنهم من يكون محبوسًا في قبره كصاحب الشملة التي غلّها - أي أخذها خيانة قبل أن توزع الغنيمة - ثم استشهد فقال الصحابة : هنيئًا له الجنة فقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلّها تشتعل عليه نارًا في قبره »[(٤)] .

---

(١) مسلم (١٨٨٧) ، وابن ماجه (٢٨٠١) .

(٢) رواه أحمد (٤٥٥/٣) ، وابن ماجه (٤٢٧١) ، والنسائي (١٠٨/٤) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٩٥) .

(٣) أحمد (٢٠/٥) .

(٤) البخاري (٤٢٣٤) ، ومسلم (١١٥) .

* وأرواح العصاة تختلف حسب نوع المعصية، وقد تقدم شيء من ذلك في حديث سمرة بن جندب، وفيه أن أرواح الزناة والزواني تكون في تنور من نار، وآكلي الربا تسبح في نهر من دم وتلقم الحجارة، والكذاب يعذب بكلُّوب من حديد يدخل في شدقه حتى يبلغ قفاه، والذي أوتي القرآن فنام عن الصلاة يشدخ رأسه بصخرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض)[١].

هذا ما يتعلق بالقيامة الصغرى، وهو الموت، وأما القيامة الكبرى. فذلك ما نتكلم عنه في الصفحات الآتية.

* * *

(١) «الروح» لابن القيم (١١٦).

الساعة العظمى (القيامة الكبرى) :

هو يوم القيامة ، ويوم الساعة : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] . ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] . ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧] ، وهو يوم الحاقة ، ويوم القارعة ، ويوم الواقعة ، ويوم التناد ، ويوم التلاق ، ويوم النشور ، ويوم الحشر ، ويوم الطامة ، ويوم الصاخة ، ويوم الزلزلة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١] .

ويشمل الإيمان بالساعة أمورًا :

الأمر الأول : وقت الساعة من الغيب الذي استأثر الله بعلمه :

فلا يعلم أحد متى الساعة إلا الله قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧] ، وفي حديث جبريل أنه سأل النبي ﷺ متى الساعة ؟ قال : « ما المسئول عنها بأعلم من السائل »[(١)] .

وعلى المؤمن ألا يشغل نفسه بتحديد زمنها ، فإن كل ذلك رجم بالغيب ، وقول غير صحيح ، والأليق بالمؤمن أن ينشغل بما ينفعه عندما تقوم الساعة ، ففي الصحيحين أن رجلًا سأل النبي ﷺ متى الساعة ؟ فقال ﷺ : « ماذا أعددت

---

(١) البخاري (٥٠) ، (٤٧٧٧) ، ومسلم (٩) (١٠) ، والنسائي (٨/١٠١) .

لها »[١] فوجهه ﷺ إلى ما ينفعه وما ينبغي أن يسأل عنه .

وبهذا تعلم أن تحديد يوم بعينه ، أو عام بعينه بأنه يوم القيامة قول على الله بلا علم ، لكن ثبت في الأحاديث أنها ستكون في يوم جمعة ففي الحديث : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، ولا تكون الساعة إلا في يوم جمعة »[٢] .

* * *

الأمر الثاني : أشراط الساعة :

وقد جعل الله لقرب الساعة أمارات وأشراطًا قال تعالى : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد : ١٨] ، وهذه الأمارات تنقسم إلى قسمين : **صغرى ؛ وكبرى :**

أولًا : العلامات الصغرى كثيرة :

بعضها قد وقع ، وبعضها يكون مقارنًا للعلامات الكبرى ، وسوف أذكر بعض الأحاديث التي ورد فيها ذكر العلامات الصغرى دون تتبع - ترتيب - لها :

فمنها : ما ثبت عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجّالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج - وهو القتل - وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهِمَّ رب المال من يقبل صدقته ،

---

(١) البخاري (٣٦٨٨) ، ومسلم (٢٦٣٩) .

(٢) مسلم (٨٥٤) ، وأبو داود (١٠٤٦) ، والترمذي (٤٩١) ، والنسائي (٣/١١٣) .

وحتى يعرض فيقول الذي يعرضه عليه : لا أرب[١] لي به ، وحتى يتطاول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ »[٢] .

وهذا الذي ذكر في هذا الحديث من العلامات الصغرى إلا طلوع الشمس من مغربها فهي من العلامات الكبرى على ما يأتي .

* **ومنها** : ما قاله النبي ﷺ : « اعدد ستًّا بين يدي الساعة : موتي ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم[٣] ، ثم استفاضة المال ، حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر[٤] فيغدرون فيأتوكم تحت ثمانين غاية[٥] ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا »[٦] .

* **ومنها** : ما تقرر في حديث جبريل : أن تلد الأمة ربها (وفي رواية : ربتها) ، وأن ترى الحفاة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان »[٧] .

* **ومنها** : ما ثبت عنه ﷺ قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين - وأشار بالسبابة والوسطى - إن كادت لتسبقني »[٨] .

---

(١) لا أرب : أي لا حاجة .

(٢) **رواه البخاري** (٣٦٠٩) (٧١٢١) ، **ومسلم** (١٥٧) مختصرًا .

(٣) داء يصيب الغنم فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة .

(٤) بنو الأصفر هم الروم ، والمقصود هنا : النصارى .

(٥) الغاية : الراية .

(٦) **رواه البخاري** (٣١٧٦) ، وابن ماجه (٤٠٤٢) .

(٧) **البخاري** (٥٠) ، **ومسلم** (٩) .

(٨) **رواه البخاري** (٥٣٠١) ، **ومسلم** (٢٩٥٠) .

* ومنها : ما رواه أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد »[١] .

* ومنها : ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصري »[٢] .

* ومنها : ما رواه أبو هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا ينتعلون نعال الشعر ، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه كأن وجوههم المجانُّ المطرقة[٣] »[٤] ، وقد تحقق هذا بقتال التتار .

* ومنها قوله ﷺ : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال[٥] ومواقع القطر[٦] يفر بدينه من الفتن »[٧] .

* ومنها كثرة الفتن فعن أبي بكرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها

---

(١) رواه أبو داود (٤٤٩) ، والنسائي (٣٢/٢) ، وابن ماجه (٧٣٩) ، وابن خزيمة (١٣٢٣) ، وصححه الألباني . انظر صحيح الجامع (٥٨٩٥) .

(٢) رواه البخاري (٧١١٨) ، ومسلم (٢٩٠٢) . وبصرى بلدة في جنوب الشام ، وقد خرجت هذه النار ، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ، والحافظ ابن كثير في أحداث (٦٥٤) من كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير .

(٣) « المجانُّ الطرقة » : « المجان » : جمع « مجن » هو التُرس الدرع الواقي للمقاتل . « المطرقة » : هي الأغشية ، والجمع « طراق » ، وهي جلدة تقدر على قدر التُرس وتلصق عليها . وشبه وجوههم بالترس لبسطها وتدويرها ، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها ونتوء وجناتها .

(٤) البخاري (٢٩٢٩) ، ومسلم (٢٩١٢) ، وأبو داود (٤٣٠٤) ، والترمذي (٢٢١٥) .

(٥) الشعف : جمع شعفة : وهي رأس الجبل وقمته .

(٦) مواقع القطر : هي مواقع المطر .

(٧) البخاري (١٩) ، (٣٦٠٠) ، وأبو داود (٤٢٦٧) ، وابن ماجه (٣٨٩٠) ، والنسائي (١٢٣/٨) .

ستكون فتن ؛ القاعد فيها خير من الماشي فيها ، والماشي خير من الساعي إليها ، ألا فإذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه ، قال : فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال : « يعمد إلى سيفه فيدق على حدِّه بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاة ، اللهم قد بلغت ، اللهم قد بلغت » ، فقال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن أكرهت حتى يُنطلَقُ بي إلى أحد الصفين ، أو إلى أحد الفئتين فضربني رجل بسيفه ، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال : « يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار »[(١)].

* **ومنها** : ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة[(٢)] ، وفُشوُّ التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة ، وقطع الأرحام ، وشهادة الزور ، وكتمان شهادة الحق ، وظهور القلم[(٣)] »[(٤)].

* **ومنها** : ما رواه أبو هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « سيأتي على الناس سنوات خدّاعات ؛ يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة ، قيل : وما الرويبضة؟ قال : الرجل التافه يتكلم في أمر العامة »[(٥)].

---

(١) **رواه مسلم** (٢٨٨٧) .

(٢) أي يكون التسليم على من يعرف ، ولا يسلم على من لا يعرفه .

(٣) أي كثرة الكتابة ، والاعتماد عليها ، وما أكثرها الآن .

(٤) رواه أحمد (١/٤٠٧)، والحاكم (٤/١١٠)، وغيرهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٤٧) .

(٥) **صحيح** : انظر السلسلة الصحيحة (١٨٨٧) .

* ومنها : ما رواه أبو هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أمتي لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة[١] : لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[٢] .

* ومنها : ما رواه أنس ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويكثر الجهل ، ويكثر الزنا ، ويكثر شرب الخمر ، ويقل الرجال ، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد »[٣] .

* ومنها : قوله ﷺ : « يتقارب الزمان حتى يكون السنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كاليوم ، واليوم كاحتراق السعفة »[٤] .

* ومنها : ما رواه أبو عامر أو أبو مالك أن النبي ﷺ قال : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليها بسارحة لهم يأتيهم بحاجة ، يقولون : ارجع إلينا غدًا ، فيبيتهم الله ، ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة »[٥] .

---

(١) **البخت المائلة** : جمع « بختي » : وهي الجمال الخراسانية ذات الأعناق الطويلة ، والمراد هو ارتفاع الغدائر - الضفائر - فوق رؤوسهن وجمع عقائصها .

(٢) **رواه مسلم** (٢١٢٨) ، **وأحمد** (٣/٣٥٥) .

(٣) **البخاري** (٨٠) (٥٢٣١) ، **ومسلم** (٢٦٧١) .

(٤) الترمذي (٢٣٣٢) ، وأحمد (٢/٥٣٧) من حديث أبي هريرة ، **وصححه الشيخ الألباني في** صحيح الجامع (٧٤٢٢) .

(٥) رواه البخاري تعليقًا (١٠/٥٢) ، ووصله أبو داود (٤٠٣٩) وغيرهم ، وفي هذا الحديث دليل على تحريم الغناء والموسيقى ، ومعنى : « **جنب علم** » أي : جنب جبل ، و« **يبيتهم** » أي : يهلكهم ليلًا ، و« **يضع العلم** » أي : يزيله ويسقطه عليهم ، و « **يمسخ** » أي : يحول صورتهم إلى صورة القردة والخنازير كما فعل باليهود .

* **ومنها** : ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ، ويخبره فخذه بحديث أهله بعده »(١) . و« العذبة » : طرف الشيء .

* **ومنها** : قوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو »(٢) ، وهذه العلامة لم تظهر كالتي قبلها ، ويبدو أنها تكون في خلال العلامات الكبرى . أو قبلها بقليل جدًا .

ومعنى : « **يحسر الفرات** » : يكشف .

تنبيه : نؤمن بخروج المهدي في آخر الزمان :

قبل نزول عيسى ﷺ يخرج المهدي ، والمهدي : من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ فعن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المهدي من عترتي من ولد فاطمة ﷺ »(٣) . « **عترتي** » : أهل بيتي .

وهو يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما ملئت ظلمًا وجورًا ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلمًا وعدوانًا ، ثم يخرج من عترتي أو من أهل بيتي من يملؤها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وعدوانًا »(٤) .

---

(١) رواه أحمد (٣/٨٣) ، وابن حبان (٦٤٩٤) ، والحاكم (٤/٥١٤) ، **وصححه الألباني في** السلسلة الصحيحة (١٢٢) .

(٢) **رواه مسلم** (٢٨٩٤) بلفظه ، وهو في الصحيحين بمعناه .

(٣) رواه أبو داود (٤٢٨٤) ، وابن ماجه (٤٠٨٦) ، **وصححه الشيخ الألباني** في صحيح الجامع (٦٧٣٤) .

(٤) رواه أحمد (٣/٣٦) ، **وإسناده صحيح** .

وقد ثبت في الأحاديث أن اسمه محمد بن عبد الله ، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم ، حتى يبعث الله فيه رجلًا مني أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا ، كما ملئت جورًا وظلمًا »(١) .

وأما عن وصفه فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « المهدي مني ، وأجلى الجبهة ، أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا ، ويملك سبع سنين »(٢) .

ومعنى « **أجلى الجبهة** » ؛ أي انحسر شعره عن مقدم رأسه ، وأما « **أقنى الأنف** » : أي دقة أرنبة الأنف مع حدب في وسطه .

وفي زمنه يكثر الخير وتعظم البركة فقد روى الحاكم عن أبي سعيد أيضًا : « يخرج في أمتي المهدي يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطى المال صحاحًا ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، يعيش سبعًا أو ثمانيًا يعني : حججًا »(٣) .

وفي صحيح مسلم قال ﷺ : « من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيًا ولا يعده عدًّا »(٤) .

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٨٢) ، وابن حبان (٥٩٥٤) ، **وصححه الألباني في** السلسلة الصحيحة (١٥٢٩) .

(٢) أبو داود (٤٢٨٥) ، والطبراني في الأوسط (١٧٦/٩) ، **وصححه الشيخ الألباني في** صحيح الجامع (٦٧٣٦) .

(٣) رواه الحاكم (٦٠٠/٤) ، ووافقه الذهبي ، **وصححه الألباني في** السلسلة الصحيحة (٧١١) .

(٤) **مسلم** (٢٩١٤) ، وأحمد (٥/٣) .

وفي نهاية حكمه ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام كما ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»[(١)].

وقد بينت الأحاديث أن عيسى عليه السلام يصلي خلفه ففي حديث جابر رضي الله عنه وفيه: «... فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا فيقول: لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله تعالى لهذه الأمة»[(٢)]، وعند الإمام أحمد وغيره أن هذه الصلاة هي صلاة الصبح.

فهذه جملة مختصرة مما ورد في أحاديث المهدي، وقد صُنِّفت فيه دواوين ومؤلفات، وقد ورد في شأنه أحاديث صحيحة وحسان وضعيفة، والضعيف لا يعمل به خاصة في المسألة الغيبية.

هذا وقد اعتقد الشيعة وغيرهم عقائد باطلة في شأن المهدي؛ فهم يزعمون أن المهدي هو آخر أئمتهم محمد بن الحسن العسكري، وأنه في سرداب سامراء ولهم في ذلك أساطير وخرافات، وكل ما يقولونه في ذلك باطل لا أساس له من الصحة.

* * *

ثانيًا: العلامات الكبرى:

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ماذا تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات؛ فذكر الدخان، والدجال، والدّابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف؛

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

(٢) مسلم (١٥٦)، وأحمد (٣/٣٨٤).

خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم »[1] .

ويلاحظ في ذلك أمور :

(أ) أن الساعة تكون على إثر هذه الآيات فهي تدل على قربها .

(ب) أن هذه العلامات متتابعة ، وقد قال ﷺ : « الأمارات خرزات منظومات في سلك ، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضًا »[2] .

(جـ) لا تعارض بين الأحاديث التي وردت بأن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها ، وبين الأحاديث التي أشارت أن أولها الدجال ، لأنه يقال : إن أول الآيات الأرضية الدجال ، وأول الآيات السماوية طلوع الشمس من مغربها .

(د) لم ترد أحاديث صريحة تشير إلى ترتيب هذا العلامات ، لكن يتضح من بعضها أن خروج الدجال ، ثم نزول عيسى ، ثم يأجوج ومأجوج يقع مرتبًا حسب الأحاديث .

كما أشارت الأحاديث إلى أن آخرها النار التي تخرج من عدن ، وأما بقية الآيات فلم ترد أحاديث في بيان موقعها وترتيبها .

وسوف نتناول هذه العلامات بشيء من التفصيل بدون إطالة :

(١) الدجال :

وخروجه من أعظم الفتن لما ثبت في الحديث قال رسول الله ﷺ : « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال »[3] .

---

(١) **رواه مسلم** (٢٩٠١) ، وأبو داود (٤٣١١) ، والترمذي (٢١٨٣) .

(٢) رواه الحاكم (٤/٥٨٩) وصححه ، ووافقه الذهبي ، ورواه أحمد (٢/٢١٩) من حديث أنس ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٦٣) .

(٣) **مسلم** (٢٩٤٦) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « يا أيها الناس، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم فتنة من الدجال، وإن الله عز وجل لم يبعث نبيًا إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة »[١].

وقد بين لنا النبي ﷺ صفات الدجال، وفتنته، ومكان خروجه، ومقدار لبثه في الأرض، ومقتله.

فمن ذلك قوله ﷺ: « ما من نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذّاب إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر »[٢] رواه البخاري، ورواه مسلم وزاد - ثم « تهجاها: ك ف ر ».

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول اله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتي ظنناه في طائفة النخل فقال: « غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط[٣]، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزي بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف، إنه خارج خَلَّة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا.

قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا؛ يوم كسنة،

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٠٧٧)، والحاكم (٤/٥٨٠)، والطبراني في الكبير (٨/١٤٦)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٨٧٥).

(٢) البخاري (٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣)، والترمذي (٢٢٤٥).

(٣) سيأتي معاني الكلمات في آخر الرواية.

ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا : يا رسول الله ؛ فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال : « لا ؛ اقدروا له قدره » .

قلنا : يا رسول الله ، وما إسراعه في الأرض ؟ قال : « كالغيث استدْبرتَهُ الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا وأمدّه خواصر ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فيصبحون ممحلين ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخَرِبة فيقول لها : أخرجي كنوزك . فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل .

ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين ، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفع تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي بصره ، فيطلبه حتى يدركه بباب لد ، فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ... الحديث »[(١)] . وسيأتى بقيته في ذكر يأجوج ومأجوج .

ومعنى « **قطط** » : شديد جعودة الشعر . و « **الخلة** » : المكان والطريق بين البلدين . « **فعاث** » العيث : الفساد . « **تروح سارحتهم** » أي : ترجع آخر النهار مواشيهم . و « **وذرًا** » جمع ذرة ؛ وهي أعالي الماشية وأسنمتها . و « **ممحلين** » : المقصود القحط والجدب ، و « **يعاسيب النحل** » : ذكورها ، وقيل : جماعة

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧) .

النحل ، ومعنى : « **جزلتين رمية الغرض** » أي : سيجعله قطعتين بينهما مسافة مقدار الرمية . و « **مهرودتان** » : ثوبان مصبوغتان .

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال فيتوجه قِبَلَهُ رجل من المؤمنين ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدجال فيقولون له : أين تَعْمِدُ ؟ فيقول : أعمد إلى هذا الرجل الذي خرج ، قال فيقولون له : أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول : ما بربنا خفاء ، فيقولون : اقتلوه فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه ؟ قال : فينطلقون به إلى الدجال ، فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجالُ الذي ذكر رسول الله ﷺ ، قال : فيأمر الدجال به فيشج ، فيقول : خذوه وشجوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضربًا .

قال : فيقول : أو ما تؤمن بي ؟ قال : فيقول : أنت المسيح الكذاب ، قال : فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه ، قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين ، ثم يقول له : قم فيستوي قائمًا ، قال : ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة ، قال : ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيُجعل ما بين رقبته إلى تَرْقُوتِهِ[1] نحاسًا ، فلا يستطيع إليه سبيلًا ، قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما أُلقي في الجنة » فقال رسول الله ﷺ : « هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين »[2] .

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال : ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته ، قال : « وما سؤالك » - وفي رواية : وما ينصبك منه - إنه لا يضرك ، قال : قلت : إنهم يقولون : معه جبال من خبز ولحم ونهر من ماء قال : « هو

---

(١) « **الترقوة** » : العظم بين ثغرة النحر والعاتق .

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٨) .

أهون على الله من ذلك »[١] .

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة[٢] »[٣] .

وعن أبي أمامة ﷺ في حديث طويل وفيه : « وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته[٤] ، حتى ينزل عند الظريب الأحمر[٥] عند منقطع السبخة ، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديث ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص »[٦] .

والأحاديث في ذكر الدجال وأوصافه كثيرة نكتفي بهذا القدر ، ففيه كفاية إن شاء الله .

* * *

(٢) وأما عن نزول عيسى ﷺ :

فقد وردت في ذلك الأحاديث وقد تقدم شيئًا من ذلك في حديث النواس بن سمعان ﷺ وأنه ينزل في آخر أيام الدجال وتقدم في أحاديث

---

(١) رواه البخاري (٧١٢٢) ، ومسلم (٢١٥٢) .

(٢) « الطيالسة » : جمع « طيلسان » ، والطيلسان : أعجمي معرب ، وهو ثوب يلبس على الكتف يحيط بالبدن ينسج خال من التفصيل والخياطة .

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٤) .

(٤) صلته : أي مجردة .

(٥) الظريب : تصغير « ظرب » وهو الجبل الصغير .

(٦) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) ، وإسناده قوي ، ورواه مسلم من حديث أنس (٢٩٤٣) .

المهدي أن ينزل وقد أقيمت صلاة الصبح، فيقدمه إمام المسلمين ليصلي بالناس فيقول له عيسى عليه السلام: تقدم فصلِّ فإنما لك أقيمت.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل»[1]. «**المربوع**»: لا قصير ولا طويل، و«**الممصرة من الثياب**»: التي بها صفرة خفيفة.

وأول ما يفعله عيسى عليه السلام: فإنه يقتل الدجال بباب لُد، ثم بعد ذلك يحكم بشريعة القرآن.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»[2].

وتستمر مدة عيسى في الأرض أربعون سنة ثم يتوفى، كما ثبت في سنن أبي داود عن أبي هريرة: وفيه: «فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[3].

وفي زمنه وبعده يعم الرخاء ويكثر الخير ففي الحديث: «طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في المطر، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٨٩).

(٢) البخاري (٢٢٢٢) (٢٤٧٦) (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥)، والترمذي (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٤٠٧٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٣٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٨٩).

حبّك على الصفا لنبت ، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ، ويطأ على الحية فلا تضره ، ولا تشاح ، ولا تحاسد ، ولا تباغض »[1] .

* * *

(٣) خروج يأجوج ومأجوج :

وفي زمن عيسى عليه السلام يخرج يأجوج ومأجوج ، كما ثبت ذلك في حديث النواس بن سمعان عند مسلم ، وقد تقدم أوله عند ذكر الدجال ، وفي آخره : « ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه - أي : الدجال - فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : أني قد أخرجت عبادًا لي - لا يدان لأحد بقتالهم - فحرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم ، فيصبحون فرسى - أي قتلى - كموت نفس واحدة ، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل طيرًا كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردي بركتك ، فيومئذ يأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ، ويبارك في الرِّسْل ، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ،

---

(١) انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٩٢٦) .

واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس . فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة »(١) .

ومعنى « **النغف** » : دود يكون في أنوف الإبل والغنم . و « **البخت** » : جمال طويلة الأعناق . « **لا يكن منه** » : لا يحتجب ، ومعنى « **كالزلفة** » أي كالمرآة ، و « **الرِّسل** » : هو اللبن الذي يحلب ، و « **اللقحة** » : وهي التي تحلب ، و « **تهارج الحمر** » : هو اجتماع الرجال والنساء علانية بحضرة الناس .

* * *

(٤) الدخان :

العلامة الرابعة « الدخان » ، وقد تقدم أنه لم يحدد ترتيبه ضمن العلامات الكبرى ، قال تعالى : ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان : ٩: ١٠] .

وثبت في الحديث عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ربكم أنذركم ثلاثًا : الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة ، والثالثة الدجال »(٢) .

هذا ، وقد ذهب ابن مسعود ﷺ أن المقصود بالدخان المذكور بالآية هو القحط الذي أصاب قريشًا يوم بدر .

والراجح ما تقدم من أن مقصود الآية أنه الدخان الذي يكون يوم القيامة ،

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧) كتاب الفتن .

(٢) رواه الطبري (١٨/٢٢) ، ورواه الطبراني في الكبير (٣/٢٩٢) ، وإسناده جيد .

لأن الأحاديث تبين أنه لم يأت بعد ، وأنه يكون قرب الساعة ، وقوله تعالى : ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ دليل على العموم .

ولذا رجح ابن كثير والنووي وغيرهم القول الأول ، وبه قال حذيفة وابن عمر والحسن .

* * *

(٥) طلوع الشمس من مغربها :

ثبت في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الآيات خروج الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا »(١) .

والمقصود بأولها إما أن يكون المراد بعد فتنة يأجوج ومأجوج ، وبذلك لا تتعارض مع الأحاديث التي تبين أن أولها الدجال ، وإما أنها أول العلامات المؤذنة بتغير أحوال الأرض .

قال تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيرًا »(٢) .

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر ، هل تدري

---

(١) رواه مسلم (٢٩٤١) ، وابن ماجه (٤٠٦٩) .

(٢) رواه البخاري (٤٦٣٥) (٦٥٠٦) ، ومسلم (١٥٧) .

أين تذهب هذه » ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : « فإنها تذهب فتستأذن في السجود فيؤذن لها ، وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها »[(١)] .

فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق باب التوبة لما ثبت في الصحيح « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه »[(٢)] .

(٦) خروج الدابة :

قال تعالى : ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] .

ووقت خروجها قريب جدًا لطلوع الشمس من مغربها كما تقدم ويكون في وقت الضحى .

وأصح ما ورد في الحديث عن أحوالها ما رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة ﷺ يرفعه إلى النبي ﷺ : « تخرج الدابة ، فتسم الناس على خراطيمهم ، ثم يعمرن فيكم حتى يشترى الرجل البعير ، فيقول : ممن اشتريته ؟ فيقول : اشتريته من أحد المخطَّمين »[(٣)] .

معنى « تسم الناس على خراطيمهم » : تجعل علامة على أنوفهم .

* * *

(٧- ٨- ٩) ثلاث خسفات :

وذلك لما تقدم في حديث حذيفة بن أسيد ، وفيه قال رسول ﷺ : « إن

---

(١) رواه البخاري (٣١٩٩) ، ومسلم (١٥٩) .

(٢) مسلم (٢٧٠٣) ، وأحمد (٢٧٥/٢) .

(٣) رواه أحمد (٢٦٨/٥) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٢) .

الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف في جزيرة العرب ... » الحديث[١] ، ولم يرد ما يفصل هذه الخسوف أو ماذا يحدث فيها .

* * *

(١٠) النار التي تحشر الناس :

وهي آخر العلامات كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال : « يحشر الناس على ثلاث طرائق ، راغبين راهبين ، واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير ، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهم حيث أمسوا »[٢] .

ومعنى : « **تقيل** » : من القيلولة ؛ وهو النوم وسط النهار .

* * *

(١) مسلم (٢٩٠١) .

(٢) البخاري (٦٥٢٢) ، ومسلم (٢٨٦١) .

الأمر الثالث : يوم القيامة

وهو اليوم الذي يبعث الله فيه الخلائق ليحاسب الناس على أعمالهم، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٥: ٨].

(١) **أسماء يوم القيامة** : وليوم القيامة أسماء عديدة وردت في القرآن؛ منها :

* **فهو يوم القيامة** : كما قال تعالى : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١].

* **وهو يوم البعث** : قال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦].

* **القارعة** : قال تعالى : ﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١: ٣].

* **الطامة الكبرى** : قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤].

* **الصّاخة** : قال تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣].

* **الآزفة** : قال تعالى : ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧].

* **الحاقة** : قال تعالى : ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

* **الواقعة** : قال تعالى : ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١].

* **الساعة** : قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

* **اليوم الآخر** : قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

* يوم الفصل: قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

* يوم الدين: قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

* يوم الحسرة: قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩].

* يوم الخروج: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢].

* الغاشية: قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].

* يوم الخلود: قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤].

* يوم الجمع: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩].

* يوم الوعيد: قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠].

* يوم الحساب: قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

* يوم التغابن: قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

* يوم التناد: قال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢].

* يوم التلاق: قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥].

* اليوم الموعود: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ [البروج: ١: ٢].

* يوم مشهود: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ٣: ١].

* **يوم عسير** : قال تعالى : ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩] .

* **يوم عبوس قمطرير** : قـال تعالى : ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠] .

وغير ذلك من الأسماء التي تدل على عظم ذلك اليوم .

* * *

(٢) ونؤمن بالنفخ في الصور

قال تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] ، والصور : هو القرن الذي ينفخ فيه الملك الموكل بالنفخ فيه وهو إسرافيل عليه السلام ، وهو واقف موقف الاستعداد منذ أن خلقه الله استعدادًا لأمر الله عز وجل له ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش ، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه ، كأن عينيه كوكبان دُريان»[١] .

وعن أبي سيعد الخدري رضي الله عنه قال : رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن ، وحنى جبهته ، وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ » قال المسلمون : فكيف نقول يا رسول الله قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله ربنا »[٢] .

والنفخ في الصور يكون مرتين : الأولى : هي نفخة الصعق ، والثانية : هي

---

(١) رواه الحاكم (٤/٦٠٣)، وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٧٨) .

(٢) رواه الترمذي (٣٢٤٣)، وحسنه ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٧٩) .

نفخة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٤٩: ٥١]، وتسمى الأولى أيضًا «الراجفة» والثانية الرادفة» كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦: ٧].

وذهب بعض أهل العلم إلى أنها ثلاث نفخات. نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث، ودليلهم في نفخة الفزع قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، وممن ذهب إلى ذلك ابن تيمية رحمه الله، وابن كثير رحمه الله وغيرهما. والعلم عند الله.

وأما عن هول هذه الصيحة فقد قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩].

وقد ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يبيعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها»(١).

و«**اللقحة**»: هو ما يحلبه من ناقته. و«**يليط حوضه**» أي: يصلحه فيسد ما تخرق منه قبل أن يملأه.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٦).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ورفع ليتًا، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله مطرًا كأنه الظل أو الطل (نعمان الشاك) - وهو أحد الرواة - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»[١].

ومعنى: «**أصغى ليتا، ورفع ليتا**»: أمال صفحة عنقه أي ليسمع الصوت.

واعلم أن النفخ في الصور يكون في يوم جمعة كما ثبت في الحديث عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على»[٢].

أما المدة بين النفختين: ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا. قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا، قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة، قال: أبيت»[٣].

ومعنى «**أبيت**» فيه ثلاث تأويلات، أولها: امتنعت عن بيان ذلك لكم، وقيل: أبيت أسأل النبي ﷺ عن ذلك، وقيل: نسيت.

وبقي سؤال وهو: مَنِ هم الذين استثناهم الله عز وجل في قوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]؟

والجواب: أن العلماء تنازعوا في تحديد الذين استثناهم الله على أقوال

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن باب خروج الدجال (٢٩٤٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (٣/٩١)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٣) رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

متعددة يستندون فيها إلى آراء أو أحاديث لا تصح ، والأولى في ذلك أن نَكِلَ علم ذلك إلى الله ﷻ .

قال القرطبي رحمه الله : قال شيخنا أبو العباس : (الصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل)[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين ، فإن الجنة ليس فيها موت ، ولا يمكن الجزم بكل ما استثناه الله ؛ فإن الله أطلق في كتابه ... والنبي ﷺ توقف في موسى هل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا ؟

فإذا كان النبي ﷺ لم يُخْبَر بكل من استثنى الله لم يمكننا نحن أن نجزم بذلك ، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يُخْبِرُ اللَّهُ به ، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر ، والله أعلم)[٢] .

* * *

(٣) نؤمن بالبعث والنشور :

(أ) **معنى البعث** : إحياء العباد في يوم المعاد ، وذلك بعد النفخة الثانية كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر : ٦٨] .

وقد تضافرت آيات القرآن الكريم في إحياء الخلائق يوم المعاد فمن ذلك قوله تعالى : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن : ٧] ، وقال تعالى : ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ

---

(١) التذكرة (ص١٨٨) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٢٦١) .

بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣: ٤]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

(ب) وقد أقام الله البراهين على بعث الناس من قبورهم:

أولًا: الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٦: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥: ٧].

ثانيًا: الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها والاستدلال بذلك على إحياء الناس بعد موتهم كما قال تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]. ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ - ٧].

ثالثًا: الاستدلال بكمال قدرته سبحانه وتعالى: فإنه إذا كان في قدرته أنه خلق الخلق من العدم فإن الإعادة أهون عليه، وإذا كان في قدرته خلق السماوات والأرض وهي أعظم من خلق الناس فإن الإحياء أهون عليه. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

رابعًا: إحياء بعض الموتى حقيقة في هذه الدنيا، وذلك مذكور في خمسة

مواضع في سورة البقرة :

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٦] .

قوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

(جـ) ويبدأ البعث يوم القيامة بأن يرسل الله مطرًا كأنه الطل ، أو الظل فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخ في الصور فإذا هم قيام ينظرون[١] .

« والطل » : المطر الذي ينزل من السماء في الصحو ، وهو أضعف المطر[٢] .

ويكون بدأ إنبات هذه الأجساد من عجب الذنب ، (وهو العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص ويقال عجم بالميم)[٣] ، وهو أصل

---

(١) وقد تقدم الحديث في ذلك ، في باب النفخ في الصور قريبًا .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر (١٣٦/٣) .

(٣) شرح النووي لمسلم (٩٢/١٨) .

الذنب للحيوانات ذوات الذنب فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بين النفختين أربعون ، ثم ينزل من السماء ماء ، فينبتون كما ينبت البقل ، وليس في الإنسان شيء إلا بلى إلا عظم واحد ؛ وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة »[1] .

د- **صفة الحشر**: قال تعالى : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٦: ٨] .

وعن عائشة ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : « تحشرون حفاة عراة غرلًا قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال : الأمر أشد من أن يهمهم ذلك »[2] متفق عليه وفي رواية للنسائى فقالت عائشة يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال : ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧][3] ، ومعنى « الغرل » : « القلف » وهي الجلدة التي تقطع عند الختان .

هذه هي الصورة لحشر الناس يوم القيامة ، لكن الله يكرم المؤمنين ويهين الكافرون قال تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥: ٨٦] .

وفي الصحيحين عن أنس ﷺ « أن رجلًا قال : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟ قال : أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٥) ، ومسلم (٢٩٥٥) .

(٢) البخاري (٦٥٢٧) ، ومسلم (٢٨٥٩) .

(٣) النسائي (٤/١١٤) ، وأحمد (٦/٨٩) .

يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»[(١)].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان»[(٢)]. و«الذر»: هي الحشرات الدقيقة كالنمل ونحوه.

هـ- الحشر يعم جميع الخلق حتى البهائم: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣: ٩٥].

و- أول من تنشق عنه الأرض هو نبينا ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»[(٣)]. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفى محمدًا على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم فقال: «لا تخيروني على موسى؛ فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى الله عز وجل»، وفي رواية «فلا

---

(١) البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٢)، وحسن إسناده الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٨٠٤٠).

(٣) رواه مسلم (٢٢٧٨)، وأبو داود (٤٦٧٣).

أدري أحوسب بصعقة الطور أم بعث قبلي »[١] .

وهذا لا يتنافى مع الحديث الجازم بأنه أول من ينشق عنه القبر . لأنه تحمل هذه الصعقة الواردة في هذا الحديث بأنها صعقة أخرى تكون في عرصات القيامة وذلك بعد البعث ، وقد استدل ابن القيم على ذلك بقوله تعالى : ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] : والله أعلم .

ز- أول من يكسى من العباد إبراهيم عليه السلام ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل »[٢] .

ح- ثبت في بعض الأحاديث : « إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها[٣] » :

ويبدو ذلك متعارضًا مع ما تقدم من أنهم يبعثون حفاة عراة ، وقد جمع بينها بعض أهل العلم على أحد هذه الاحتمالات .

الأول : أنهم يبعثون فيها ثم تبلى بعد قيامهم من قبورهم ، فإذا وافوا الموقف كانوا عراة ثم يلبسون من ثياب الجنة .

الثاني : أن كسوتهم بعد كسوة الأنبياء تكون من جنس ما يموتون فيها ، فإذا دخلوا الجنة لبسوا من ثياب الجنة .

الثالث : أن المراد بالثياب : الأعمال فهم يبعثون على أعمالهم ويشهد له حديث النبي ﷺ : « يبعث كل عبد على ما مات عليه »[٤] ، والله أعلم .

---

(١) رواه البخاري (٢٤١١) (٣٤٠٨) (٦١٥٧) ، ومسلم (٢٢٧٣) .

(٢) البخاري (٣٣٤٩) (٣٤٤٧) (٤٧٤٠) ، ومسلم (٢٨٦٠) .

(٣) رواه أبو داود (٣١١٤) ، والحاكم (١/٤٩٠) ، وصححه ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٧١) .

(٤) مسلم (٢٨٧٨) ، وأحمد (٣/٣٣١) .

ي- صفة أرض المحشر : قال تعالى : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم : ٤٨] .

وعن سهل بن سعد ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيام على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى » قال سهل أو غيره « ليس فيها معلم لأحد »[(١)] .

و « العفراء » اختلف العلماء في معناه . فقال الخطابي : بياض ليس بناصع ، وقال عياض : بياض يضرب إلى الحمرة ، وقال ابن فارس : خالصة في البياض .

و« النقي » : هو الدقيق النقي من القشر .

وفي الحديث أنه سأل ﷺ : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ : « هم في الظلمة دون الجسر »[(٢)] .

والمراد بـ « الجسر » : الصراط .

والراجح أن أرض المحشر غير هذه الأرض ، وسماءها غير هذه السماء لظاهر الآية والأحاديث . وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التبديل هو تبديل صفاتها فقط ، مستدلين على ذلك بآثار عن عبد الله بن عمرو وابن عباس .

والراجح ما تقدم من الأحاديث . لأن هذه الآثار لا تقدم على الحديث .

* * *

(٤) ونؤمن بالحساب والجزاء :

(أ) وذلك بمثول العباد أما ربهم فيعرفهم بأعمالهم ويجازيهم بها قال تعالى : ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢١) ، ومسلم (٢٧٩٠) .

(٢) صحيح مسلم (٣١٥) .

وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

ويوفي الله الحقوق كاملة غير منقوصة كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]. وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزال: ٧: ٨].

(ب) أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة صلاته:

فعن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ: «إن أول، ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئًا قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله عل ذلك»[1].

(جـ) وأول ما يقضى به بين العباد في الدماء[2]، فالأول - وهي الصلاة - يتعلق بحق الله، والثاني - في الدماء - يتعلق بحقوق العباد، وتقضى الحقوق بالحسنات والسيئات فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس» قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله ﷺ: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقتص ما عليه من

(١) صحيح: رواه أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (١/٢٣٢)، وابن ماجه (١٤٢٥).

(٢) كما جاء عند مسلم (١٦٧٨) من حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء».

الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار»[(١)] .

فعلى هذا تؤدى كل الحقوق لأصحابها ، حتى يبلغ من العدل أن تقضى حقوق البهائم كما ثبت في الحديث : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ؛ حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»[(٢)] .

(د) **يؤتى بالشهود يشهدون على العباد** ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١] ، وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٩] .

فتشهد الملائكة كما قال تعالى : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] . وتشهد أمة النبي ﷺ على الأمم كلها كما قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] .

وتشهد الأرض كما ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ؛ تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ؛ فهذه أخبارها »[(٣)] .

وتشهد الأعضاء قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾

---

(١) مسلم (٢٤٨١) ، والترمذي (٢٤١٨) .

(٢) مسلم (٢٥٨٢) ، والترمذي (٢٤٢٠) .

(٣) صحيح : رواه الترمذي (٢٤٢٩) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وأحمد (٢/٣٧٤) ، والحاكم (٢/٢٨١) وصححه ووافقه الذهبي ، والحديث تكلم فيه بعض أهل العلم .

[النور: ٢٤: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

(هـ) الناس في الحساب أنواع:

* فمنهم من يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، وقد بينهم النبي ﷺ: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، على ربهم يتوكلون»[1].

* ومنهم من تلتقطهم النار في الموقف، كما ثبت في سنن الترمذي وغيره بسند صحيح، «تخرج عنق من النار يوم القيامة، لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاث؛ بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين»[2].

* ومنهم من تعرض عليه أعماله فقط وهو الحساب اليسير، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك - وفي رواية من نوقش الحساب هلك» قالت عائشة: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧: ٨] فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك»[3].

* ومنهم من يناقش الحساب، فإن نوقش عُذب وهلك. كما تقدم في الحديث السابق.

---

(١) البخاري (٦٤٧٢)، ومسلم (٢١٨).

(٢) الترمذي (٢٥٧٤)، وأحمد (٢/٣٣٦).

(٣) البخاري (١٠٣) (٤٩٣٩) (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٥) ونؤمن بتطاير الصحف

قال اللـه تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء : ١٣ : ١٤] .

وعندئذ لا يعرف أحدٌ أحدًا ؛ ففي السنن عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النار فبكت ، فقال رسول الله ﷺ : « ما يبكيك ؟ » قالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا ؛ عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند كتابه حتى يقول : هاؤم اقرؤا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم »(١) .

وقد بين الله هذا الموقف وحال المؤمنين والكفار فقال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة : ١٩ : ٣٧] .

وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا

---

(١) أبو داود (٤٧٥٥) ، وأحمد (٦/١١٠) .

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الأنشقاق: ٧: ١٥].

* * *

(٦) ونؤمن بالميزان:

أ- قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال أبو إسحاق الزّجاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن به يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان وقالت: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة، لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين)[1].

ب- يثقل الميزان ويخف حسب الأعمال، فمنهم ناج ثقل ميزانه، ومعاقب خف ميزانه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨: ٩].

---

(١) فتح الباري (١٣/٥٣٨).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١: ١٠٤].

جـ- اختلف أهل العلم في الموزون ما هو على أقوال:

* فمنهم من يرى أن الأعمال نفسها هي التي توزن، وأنها تجسم فتوضع في الميزان، واستدلوا بأدلة منها قوله ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان؛ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[1].

* ويرى أخرون أن الذي يوزن هو العامل نفسه، وأن الميزان يثقل به أو يخف حسب إيمانه، كما ورد في الحديث: «إنه ليأتي بالرجل السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وقال: اقرءوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥][2]، وعن زر بن حبيش عن ابن مسعود أنه كان دقيق الساقين فجعلت الريح تلقيه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مم تضحكون» قالوا: يا نبي الله من دقة ساقه. قال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»[3].

* وذهب فريق ثالث إلى أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال، واستدلوا على ذلك بحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦) (٦٦٨٢) (٧٥٦٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري (٤٧٢٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٢٧٨٥).

(٣) أحمد (١/٤٢٠)، وابن حبان (٧٠٦٩).

«إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله - تعالى -: بلى؛ إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم اليوم، فتخرج بطاقة فيه أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء»[1].

قال الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ اللهُ - بعد عرضه لهذه الأقوال الثلاثة -: (والذي أستظهر من النصوص - والله أعلم - أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن، لأن الأحاديث التي هي[2] بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها)[3].

❋ ❋ ❋

(٧) ونؤمن بالصراط:

(أ) قال شارح الطحاوية: (ونؤمن بالصراط: وهو جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الجسر كما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ سئل أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم (١/٤٦)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥).

(٢) في الأصل: «في»، ولعلها مصحفة، وما أثبته يقتضيه السياق.

(٣) معارج القبول (٢/٢٢٠).

والسماوات؟ قال: «هم في الظلمة دون الجسر»[(١)].

(ب) **وفي الصحيحين** في حديث أبي سعيد الخدري - في حديث طويل - مرفوعًا وفيه: «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهراني جهنم»، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «مدحضة مذلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف والبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلّم، وناج مخدوش، ومكدوسٌ في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا»[(٢)].

ومعنى «**مدحضة**»: مكان تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

ومعنى «**مذلة**»: مكان تنزلق فيه الأقدام، وهو نفس المعنى.

ومعنى «**الخطاطيف**»: جمع خطاف، وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء.

ومعنى «**الكلاليب**»: جمع كلُّوب؛ وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم ويتناول بها الحداد الحديد من النار.

و«**الحسك**» شوك صلب قوي، «**مفلطحة**»: لها عرض واتساع، و«**عقيفاء**» منعطفة معوجة.

قلت: وقد ثبت في بعض الآثار أن جسر أدق من الشعر وأحد من السيف فقد روى ابن جرير عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، قال: «الصراط على جهنم مثل حد السيف...»[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم (٣١٥).

(٢) البخاري (٨٠٦)، (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٢).

(٣) رواه الحاكم (٢/٤٠٧)، والطبراني في الكبير (٩/٢٠٣)، وفي صحيح الترغيب (٣٦٢٧).

(ج) **أول من يجيز على الصراط الرسول ﷺ وأمته** : لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا - في حديث طويل - وفيه : «ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ...»[1] الحديث .

(د) **قبل الصراط يكون الناس في الظلمة** ، ثم يلقى عليهم النور ليمروا على الصراط لكن يطفأ نور المنافقين قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢: ١٥] ، ورد ذلك موقوفًا عن ابن مسعود - وله حكم المرفوع لأن مثله لا يقال بالرأي - قال : « يجمع الله الناس يوم القيامة ... إلى أن قال : فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك »[2] .

(هـ) اختلف العلماء في معني قوله تعالى : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ

---

(١) البخاري (٦٥٧٤) ، ومسلم (١٨٢) .

(٢) رواه الحاكم (٤٠٨/٢) ، وصححه ووافقه الذهبي ، والطبراني في الكبير (٣٥٧/٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٥٩١) .

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ١٣١ - ١٣٣] .

١- فذهب البعض إلي أن المقصود به الدخول ، وهو قول ابن عباس وأنها تكون على المؤمنين بردًا وسلامًا واستدل بقوله تعالى : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود : ٩٨] ، بمعنى : أدخلهم .

٢- وذهب آخرون إلى أن الورود هو المرور ، وهو قول جابر بن عبد الله ﷺ فقد سئل عن الورود فساق الحديث بطوله وفيه : « ... ويعطى كل إنسان منافق أو مؤمن نورًا ثم يتبعونه ، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون ، فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون ...»[(١)] .

والجمع بين الأقوال أن ورود الكفار دخولهم إياها ، وورود المؤمنين مرورهم عليها ، فالكل يرد عليها مرورًا ، ثم يسقط فيها المنافقون دخولًا وينجو المؤمنون .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها ، وورود المشركين أن يدخلوها .

* * *

(٨) ونؤمن بالجنة والنار :

(أ) نؤمن بأن الجنة والنار حق لا شك فيهما ، وأن الجنة دار أولياء الله المتقين والنار دار أعداء الله الكافرين قال تعالي : ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ

---

(١) رواه مسلم (١٩١) .

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾
[آل عمران: ١٣١: ١٣٣].

وقال ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»[1].

(ب) نعتقد وجودهما الآن، كما تقدم من الآيات عن النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ وعن الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٤: ١٥].

وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في صلاة الخسوف قال: «قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطف من قطافها، ودنت مني النار حتى قلت: أي رب وأنا معهم، فإذا امرأة حسبت أنه قال: تخدشها هرة، قلت: ما شأن هذه، قالوا: حبستها حتى ماتت جوعًا لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل»[2] وثبت نحوه من حديث جابر عند مسلم.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «اختصمت الجنة والنار؛ فقالت الجنة: يا رب مالها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم؟ وقالت النار: يا رب مالها يدخلونها الجبارون المتكبرون؟ فقال: أنت رحمتي أصيب بك من أشاء، وأنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحد منكما ملؤها»[3].

---

(١) **رواه البخاري** (٣٤٣٥)، **ومسلم** (٢٨) من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) **البخاري** (٧٤٥)، وعند مسلم (٩٠٤) من حديث جابر.

(٣) **البخاري** (٧٤٤٩)، **ومسلم** (٢٨٤٦).

(ج) **نعتقد دوامها وبقاءهما** ، وذلك بإبقاء الله لهما وأنهما لا يفنيان قال تعالى عن الجنة : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، وثبت في الحديث : « ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا »[(١)] .

وقال تعالى عن النار : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب : ٦٤: ٦٥] .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا؟ فيقولون : نعم ؛ هذا الموت وكلهم قد رآه ، ثم ينادي : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا؟ فيقولون : نعم ؛ هذا الموت وكلهم قد رآه ، فيذبح ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريم : ٣٩] »[(٢)] .

* * *

(٩) نؤمن بالحوض والكوثر :

(أ) **أكرم الله رسوله ﷺ في الموقف العظيم بالحوض** ، وقد وردت الأحاديث بوصفه : أن ماءه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كعدد نجوم السماء ، وأنه مربع الزوايا واسع الأرجاء ، يأتيه ماؤه من نهر الكوثر وهو نهر في الجنة ، وهو النهر الذي حباه الله لرسوله ﷺ

---

(١) مسلم (٢٨٣٧) ، والترمذي (٣٢٤٩) .

(٢) البخاري (٤٧٣٠) ، ومسلم (٢٨٤٩) .

بقوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، وهذا الحوض يشرب منه أمة النبي ﷺ بيده، ومن شرب منه لا يظمأ بعده أبدًا.

(ب) وأما وصف الكوثر، فقد ثبت عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا نهر الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينة مسك أذفر»[1].

(ج) قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (وقد ورد في ذكر الحوض وتفسير الكوثر وإثباته وصفته من طرق جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ واشتهر واستفاض، بل تواتر في كتب السنة من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن)[2].

ثم ساق أسماء الذين رووا الأحاديث ثم أورد حديثهم أربع وعشرين صحابيًا.

(د) تقدم أن أمة النبي ﷺ يشربون من حوضه لكن يستثنى من ذلك من بدل وغير بعده ﷺ فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليردن على ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم، اختلجوا دوني، فأقول أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[3]. ومعنى «اختلجوا»: جذبوا وأبعدوا.

(هـ) اختلف أهل العلم في موضع الحوض هل هو قبل الصراط أم بعده والأرجح والله أعلم أنه قبل الصراط، لأنه يصرف عنه بعض وارديه إلى النار فلو كان بعد الصراط لصعب عليهم الوصول إليه، حيث إنه لا يعبره إلا من يدخل الجنة، وهذا رجحه القرطبي والغزالي، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) البخاري (٦٥٨١)، (٧٥١٧).

(٢) معارج القبول (٣/٢٣٧).

(٣) رواه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

(١٠) ونؤمن بالشفاعة العظمى :

(أ) أدلة الشفاعة :

قال الله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء : ٧٩] .

وفي الصحيحين عن أنس ﷺ أن نبي الله ﷺ قال : « لكل نبي دعوة دعاها لأمته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »[١] .

والأحاديث في ذكر الشفاعة وصفتها كثيرة ، لكني أكتفي بذكر حديث أبي هريرة ﷺ في الصحيحين قال : « أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهش منها نهشة وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة : وهل تدرون بم ذاك ؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ، وما لا يحتملون ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : ائتوا آدم ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ؛ خلقك الله بيده ، ونفخ فيك مِن روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح ؛ أنت أول الرسل إلى الأرض ، وسمّاك الله عبدًا شكورًا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب

---

(١) البخاري (٦٣٠٥) ، ومسلم (٢٠٠) .

بعده مثله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ .

فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ؛ اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم إبراهيم : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله – وذكر كذباته – نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى ﷺ فيقولون : يا موسى ؛ أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى ﷺ : « إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى : أنت رسول الله ، وكلمت الناس في المهد ، وكلمة منه ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله – ولم يذكر له ذنبًا – نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ .

فيأتوني فيقولون : يا محمد ؛ أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجدًا لربي ، ثم يفتح الله على ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ؛ ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول :يا رب أمتي أمتي ، فيقال : يا محمد : أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من

الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبُصرى »(١) .

(ب) للنبي ﷺ أكثر من شفاعة :

الأولى : الشفاعة العظمى وهي المقام المحمود ، وهي التي سبق الحديث عنها قال البخاري : باب قوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] - ثم ساق بإسناده - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا ؛ كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود »(٢) .

الثانية : يشفع في استفتاح باب الجنة :

فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس يشفع في الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا »(٣) رواه مسلم ، وفيه عنه قال رسول الله ﷺ : « آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك »(٤) .

الثالثة : يشفع في أهل الذنوب والمعاصي ليخرجوا من النار :

وهذه الشفاعة أنكرها المعتزلة وغيرهم ، والصواب أنها ثابتة ففي حديث الشفاعة في الصحيحين - واللفظ لمسلم - قال : « فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجدًا ، فيدعني ما شاء الله ؛ فيقال : يا محمد : ارفع

---

(١) البخاري (٣٣٤٠) ، ومسلم (١٩٤) ، واللفظ لمسلم .

(٢) البخاري (٤٧١٨) .

(٣) مسلم (١٩٦) .

(٤) مسلم (١٩٧) ، وأحمد (٣/١٣٦) .

رأسك ، قل تسمع ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع ، فيحد لي حدًّا فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة . (قال لا أدري لي الثالثة ، أو في الرابعة قال) ، فأقول : يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن »[1] ، قال قتادة : أي وجب عليه الخلود .

الرابعة : يشفع لأناس من أمته قد استوجبوا النار فلا يدخلوها .

الخامسة : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم .

السادسة : شفاعته لعمه أبي طالب – وقد مات على الكفر – حتى يخفف عنه عذابه ففي الصحيحين عن العباس أنه قال : يا رسول الله ، هل نفعت أبا طالب بشيء ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ، قال : « نعم هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار »[2] اللفظ لمسلم ومعنى ضحضاح : ما يصل إلى الكعبين .

* * *

---

(١) البخاري (٤٤٧٦) ، ومسلم (١٩٣) ، واللفظ له .

(٢) البخاري (٣٨٨٣) (٦٢٠٨) ، ومسلم (٢٠٩) .



سادسًا : الإيمان بالقضاء والقدر

ويتعلق بالإيمان بالقضاء والقدر أمور :

(أ) الإيمان بالقدر

قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ، وقال تعالى : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [التغابن: ١١] .

وعن طاوس قال : (أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : « كل شيء بقدر » قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول : كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز)(١) .

وسئل الإمام أحمد عن القدر فقال : (القدر قدرة الله)(٢) ، واستحسن هذا الكلام من الإمام أحمد مما يدل على تبحره وفقهه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (من لم يقل بقول السلف فإنه لا يثبت للّه قدره ، ولا يثبته قادرًا كالجهمية ومن اتبعهم ، والمعتزلة المجبرة والنافية ، حقيقة قولهم : أنه ليس قادرًا ، وليس له الملك ...)(٣) .

قُلْتُ : وثبت ما قاله الإمام أحمد موقوفًا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد روى ابن بطة في « الإبانة » من طريق زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٥) .

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣/٢٥٤) ، وشفاء العليل لابن القيم (١/٢٨) .

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٣٠) .

«القدر قدرة الله فمن كذب بالقدر فقد جحد قدرة الله» .

(ب) معنى القدر :

القدر لغة : القضاء والحكم ومبلغ الشيء ، والتقدير : التروية والتفكر في تسوية الأمر[(١)] .

واصطلاحًا : ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد ، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق ، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون .

(ج) للعلماء في الفرق بين القضاء والقدر قولان :

الأول : القضاء هو العلم السابق الذي حكم به في الأزل ، والقدر وقوع الخلق على وفق الأمر المقضي السابق .

الثاني : عكس الأول : فالقدر هو الحكم السابق ، والقضاء هو الخلق والإيمان .

والقول الثاني هو الأرجح فإن القدر اسم لما صار مقدرًا ، والقضاء : إيجاده .

قال ابن بطال : (القضاء هو المقضي)[(٢)] .

وقال الخطابي : (القدر اسم لما صار مقدرًا عن فعل القادر) .

وأما القضاء فهو الخلق كما قال تعالى : ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت : ١٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة : ١١٧] .

(د) أركان الإيمان بالقدر :

الإيمان بالقدر يتكون من أربع مراتب أو أربع أركان وهي .

(١) الإيمان بعلم الله السابق .

---

(١) القاموس المحيط (ص٥٩١) .

(٢) انظر فتح الباري (١١/١٤٩) .

(٢) الإيمان بكتابته قبل كونها .

(٣) الإيمان بمشيئة الله النافذة .

(٤) الإيمان بأنه خالق كل شيء .

وتفصيل هذه الأركان كالآتي .

*** الركن الأول : الإيمان بعلم الله السابق .**

فهو - سبحانه وتعالى - عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم ، وأهل الجنة منهم ، وأهل النار منهم قبل أن يخلقهم قال تعالى : ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم : ٣٠] ، وقال : ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم : ٣٢] .

ويقرر سبحانه ذلك بعلمه في الكافرين لو عادوا إلى الدنيا كيف يكون حالهم فقال تعالى : ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام : ٢٨] .

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين ، فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين »[1] .

وقال تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : علم ما يكون قبل أن يخلقه .

قال ابن الجوزي رحمه الله : على علمه السابق فيه أنه لا يهتدي .

قال ابن القيم رحمه الله : أضله الله عالمًا به وبأقواله وما يناسبه ويليق به ، ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبعده ، أنه أهل للضلال وليس أهلًا أن يهدى ، وأنه لو

---

(١) البخاري (١٣٨٣) ، ومسلم (٢٦٦٠) .

هُدى لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند من لا يستحقه ، فالرب سبحانه حكيم ، إنما يضع الأشياء في محالها اللائقة بها ، فانتظمت الآية على هذا القول في إثبات القدر والحكمة التي لأجلها قدر عليه الضلالة وذكر العلم إذ هو الكاشف المبين لحقائق الأمور ، ووضع الشيء في مواضعه ، وإعطاء الخير من يستحقه ومنعه من لا يستحقه ، فإن هذا لا يصح بدون العلم ، فهو سبحانه أضله على علمه بأحواله التي تناسب ضلاله وتقتضيه وتستدعيه ، وهو سبحانه كثيرًا ما يذكر ذلك مع إخباره بأنه أضل الكافر كما قال تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

والله سبحانه وتعالى قد علم قبل أن يخلق عباده أحوالهم وما هم عاملون وما هم إليه صائرون ، ثم أخرجهم إلى هذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه ، وابتلاهم من الأمر والنهي والخير والشر بما أظهر معلومه فاستحقوا المدح والذم ، والثواب والعقاب ، بما قاموا به من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق ، ولم يكونوا يستحقون ذلك - وهي في علمه - قبل أن يعملوها ، فأرسل رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه إعذارًا إليهم وإقامة للحجة عليهم لئلا يقولوا كيف تعاقبنا على علمك فينا ، وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا ، فلما أظهر علمه فيهم بأفعالهم جعل العقاب على معلومه الذي أظهره الابتلاء والاختبار ، وكما ابتلاهم بأمره ونهيه ، ابتلاهم بما زين لهم في الدنيا وبما كتب فيها من الشهوات ، فذلك ابتلاء بشرعه وأمره ، وهذا ابتلاء بقضائه وقدره قال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الكهف: ٧] . وقال تعالى : ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ، وقال تعالى :

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠])[1] .

(و) الركن الثاني: الإيمان بكتابة الله للمقادير:

(أ) قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، والمقصود به اللوح المحفوظ وهو «أم الكتاب»، وهو «الذكر» الذي كتب الله فيه كل شيء، وهذا يتضمن كتابة الأعمال قبل أن يعملوها، والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظه لها والإحاطة بعددها وإثباتها فيه.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فالزبور جميع الكتب المنزلة من السماء، والذكر: أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ.

(ب) وكتابة الأعمال يدخل فيه خمسة تقادير:

الأول: التقدير الأزلي السابق قبل خلق السماوات والأرض، وهذا ما تقدم دليله من الآيات، وفي الحديث قال ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم، قال له اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما سيكون إلى يوم القيامة»[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال: وعرشه على الماء»[3].

---

(١) شفاء العليل (٣٥/١).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وأحمد (٣١٧/٥) عن عبادة بن الصامت، وإسناده صحيح.

(٣) رواه مسلم (٢٦٥٣).

الثاني : التقدير عند أخذ الميثاق :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٢ : ١٧٤] .

وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال : « خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي ، وقال للذي في كتفه اليسري : إلى النار ولا أبالي »[(١)] .

معنى : « **الحمم** » قال القرطبي : الفحم .

وعن عمران بن حصين ﷺ قال : قيل يا رسول الله : أعُلم أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : « نعم » ، قال : ففيم يعمل العاملون : قال : « كل ميسر لما خلق له »[(٢)] .

قال الطحاوى ﷺ : (وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة ، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ، ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى في كتابه : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] . فمن سأل لم فعل؟ رد

---

(١) رواه أحمد (٦/٤٤١) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٩) .

(٢) رواه البخاري (٧٥٥١) ، ومسلم (٢٦٤٩) .

حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين)[١].

الثالث: التقدير العُمُري:

وهو تقدير أرزاق العباد وآجالهم وأعمالهم وشقوتهم وسعادتهم وهم في بطون أمهاتهم فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه اللوح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سيعد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[٢].

الرابع: التقدير الحولي السنوي: وذلك في ليلة القدر:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الدخان: ٣ - ٥].

قال الحسن البصري رحمه الله: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها.

وقال ابن عباس رحمه الله: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج: يقال: يحج فلان ويحج فلان[٣].

---

(١) العقيدة الطحاوية (٣٢).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٨)، (٣٣٣٢) (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢١٣/١٢).

الخامس : التقدير اليومي :

وهو سوق المقادير إلى مواقيتها التي قدرت لها فيما سبق. قال تعالى : ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

ومعنى الآية : من شأنه أن يحيي ويميت، ويخلق ويرزق، ويعز ويذل قومًا، ويشفي مريضًا، ويفك عانيًا، ويفرج مكروبًا، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، ويغفر ذنبًا، إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما شاء.

* * *

الركن الثالث : الإيمان بمشيئة الله النافذة :

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

قال الطحاوي : (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو متعال عن الأضداد والأنداد، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمة، ولا غالب لأمره، آمنا بذلك. كله وأيقنا أن كلًّا من عنده)[1].

ومعنى أنه متعال عن الأضداد أي : المخالفين، والمقصود أنه سبحانه لا معارض له، بل ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

والذين نفوا مشيئة الله هم القدرية فإنهم آمنوا بمشيئة العباد ونفوا مشيئة رب

---

(١) انظر شرح الطحاوية (ص١٥٣- ١٥٦).

الأرباب ، وقابلهم في بدعتهم الجبرية الذين جعلوا العبد مجبورًا على أقواله وأفعاله لا مشيئة له .

والذي عليه أهل السنة إثبات مشيئة الله ﷻ النافذة ، وأن للعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وهو الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها ، وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وعلى ذلك كلفوا وعليه يثابون ويعاقبون ، ولم يُكلِّفهم الله إلا وسعهم ولم يُحمِّلهم إلا طاقتهم ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠] .

* * *

الركن الرابع : الإيمان بأن الله خالق كل شيء :

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣] ، والضحك والبكاء فعلان اختياريان ، فهو سبحانه المضحك المبكي للعبد .

وهذا أمر متفق عليه في الكتب الإلهية وفي الفطر والعقول والاعتبار ، ولم يخالف في ذلك إلا القدرية مجوس هذه الأمة حيث أخرجوا طاعات الملائكة والأنبياء والرسل والمؤمنين عن ربوبيته ومشيئته ، وجعلوهم هم الخالقين لها وأنها بمشيئتهم لا بمشيئته ، وبقدرتهم لا بقدرته ، تعالى الله عما يقولونه علوًا كبيرًا .

قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] ، وقال تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢] .

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله : (فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم ، فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله ، إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم ، وليس مشيئتهم وإرادتهم وقدرتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله تعالى

وإرادته وقدرته وفعله ... فالله تعالى هاد حقيقة والعبد مهتد حقيقة، ولهذا أضاف تعالى كلا من الفعلين إلى من قام به فقال ﷻ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧] فإضافة الهداية إليه تعالى حقيقة، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة ... وكذلك يضل الله تعالى من يشاء حقيقة، وذلك العبد يكون ضالًا حقيقة، وهو سبحانه خالق المؤمن وإيمانه، والكافر وكفره كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] أي هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك كونًا لا شرعًا، فلابد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال)[1].

(جـ) الأمر الكوني والأمر الشرعي:

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وأمر الله ﷻ ينقسم إلى قسمين: أمر كوني وأمر شرعي.

فالأمر الكوني قدري متعلق بمشيئته بما يحب وبما يكره، فهو سبحانه خلق الملائكة وهو يحبهم، وخلق إبليس وهو يبغضه، فمشيئته سبحانه وتعالى عامة بما يحب ويبغض.

وأما الأمر الشرعي فهو متعلق بأوامره التي يأمره بها عباده وذلك كله محبوب لله ﷻ قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وعلى هذا فالمؤمن بإيمانه وافق الأمر الكوني والأمر الشرعي، والكافر بكفره وافق الأمر الكوني الذي هو مشيئة الله، ولم يوافق الأمر الشرعي الذي هو محبوب لله ﷻ.

---

(١) معارج القبول (٣/٩٤٢).

وعلى هذا فإرادة الله ﷻ تنقسم إلى إرادة كونية وهي مشيئته ، وإلى إرادة شرعية وهي محبته .

(د) الإيمان بالقدر لا يوجب الاتكال وترك العمل ، ولكن يوجب الجلد والاجتهاد .

فقد اتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ، ولا يوجب الاتكال ، بل يوجب الجد والاجتهاد ، والحرص على العمل الصالح ، ولهذا لما أخبر النبي ﷺ أصحابه ﷺ بسبق المقادير وجريانها وجفوف الأقلام بها فقيل له : أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال : « لا ؛ اعملوا فكل ميسر » ثم قرأ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ »[1] .

فالله سبحانه قدر المقادير وهيأ لها أسبابًا ، وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد ، وقد يسّر كلًّا من خلقه لما خلق له في الدنيا والآخرة ، فالعبد مهيأ له ميسر له ، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها ، كان أشد اجتهادًا في فعلها والقيام بها أعظم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سببًا في وجود الزرع ، والنكاح سببًا في وجود النسل ، وكذلك العمل الصالح سببًا في دخول الجنة ، والعمل السيئ سببًا في دخول النار .

وقال النبي ﷺ : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله

---

(١) البخاري (١٣٦٢) ، ومسلم (٢٦٤٧) .

وما شاء فعل »[1] .

وعن أبي خزامة أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : « أريت رقى نسترق بها ودواء نتداوى به ، وتقاة نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئًا ؟ قال : « هي من قدر الله »[2] .

(ك) معنى قوله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد : ٣٩] .

وفي فهم ذلك إجابة على كثير من الإشكالات التي تشكل على بعض الناس ، كإشكالية زيادة العمر أو الرزق المذكوران في الحديث الصحيح : « من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه »[3] .

وعمومًا فقد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية الجواب على هذه التساؤلات بأن الأرزاق والأعمار نوعان :

(نوع جرى به القلم وكتب في أم الكتاب ، فهذا لا يتغير ولا يتبدل ، ونوع أعلم الله به ملائكته فهذا هو الذي يزيد وينقص ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد : ٣٩] ، وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي قدر الله فيه الأمور على ما هي عليه ، ففي كتب الملائكة يزيد العمر وينقص ، وكذلك الرزق بحسب الأسباب ، فإن الملائكة يكتبون له رزقًا وأجلًا ، فإذا وصل رَحِمِه زيد له في الرزق والأجل وإلا فإنه ينقص له منهما)[4] .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) ، وابن ماجه (٤١٦٨) ، وأحمد (٢/٣٦٦) .

(٢) رواه أحمد (٣/٤٢١) ، والترمذي (٢٠٦٥) ، وابن ماجه (٣٤٣٧) ، وإسناده صحيح .

(٣) البخاري (٢٠٦٧) (٥٩٨٥) (٥٩٨٦) ، ومسلم (٢٥٥٧) .

(٤) مجموع الفتاوى (٨/٥٤٠) ، وانظر كذلك (٨/٥١٧) ، وانظر فتح الباري (١١/٤٨٨) .

(و) فوائد وثمرات الإيمان بالقدر[١] .

١- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب ، لأن كل شيء بقدر الله .

٢- أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصوله مراده ، لأن حصوله نعمة من الله تعالى .

٣- الطمأنينة والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى ، فلا يقلق بفوات محبوب أو حصول مكروه ؛ لأن ذلك بقدر الله تعالى وهو كائن لا محالة .

٤- تهون على العبد المصائب لعلمه أن ذلك من عند الله تعالى ، وما كان من عند الله تعالى فالرضى به والتسليم له شأن كل عاقل .

٥- الإيمان بالقدر[٢] طريق الخلاص ، من الشرك لأن المؤمن بالقدر مقر بأن هذا الكون وما فيه صادر عن إله واحد ومعبود واحد ، ومن لم يؤمن بهذا فإنه يجعل من دون الله آلهة وأربابًا .

* * *

بعض الألفاظ الدارجة على ألسنة الناس تتنافى مع الإيمان القدر :

* قولهم : (آدي الله وآدي حكمته) ، وفيه التلميح بالتسخط بالقدر وعدم الرضا به والصحيح أن يقول : قدر الله وما شاء فعل .

* ومن ذلك قول بعضهم : (قدرٌ أحمق الخُطا) . وفي هذا وصف لقدر الله بالحمق . وهذا باب من أبواب الكفر ، نعوذ بالله من الخذلان .

---

(١) من كتاب الثمرات الزكية (ص٢٥١) بتصرف ، وقد عزاها إلى رسائل في العقيدة لابن عثيمين (٣٩) ، وشرح حديث الولي للشوكاني (٣١٣، ٤١٤) .

(٢) من كتاب القضاء والقدر ، للدكتور عمر سليمان الأشقر .

* ومن ذلك قولهم : (لعبة القدر) ، أو (لعب به القدر) .

* ومن ذلك قول بعضهم تسخطًا : (ليه كده يا رب) ، (أنا عملت أيه في دنيتي) ، أو (ما فيش غيري) .

* ومن ذلك قولهم : (ينساك الموت) ، أو (هو ربنا نسيك ليه) .

* ومن ذلك قولهم : (قليل الحظ يلاقي (يجد) العظم في الكرشة) . وفيها الاعتراضات على تقدير الله .

* ومن ذلك قولهم : (يدي الحلق للي ما لهاش ودان) . وفي هذه العبارة الاستهانة والاحتقار لتقدير الله ﷻ .

* ومن ذلك قولهم : (هو فيه إيه عدل) . وهذا تسخط لقدر الله ﷻ .

* قول بعضهم عند موت قريب له : (سيبنا لمين) ، (بدري من عمرك) ، (مات قبل يومه) . وهذا كله يتنافى مع الاعتقاد بما قدره الله من الآجال .

* ومن ذلك قولهم (اللهم إني لا أسألك رد القضاء ، ولكن أسألك اللطف فيه) .

أفاد الشيخ ابن باز خطأ هذه الكلمة لأنه لا شيء في أن يسأل العبد ربه أن يدفع عنه البلاء ، فقد استعاذ النبي ﷺ من سوء القضاء ثم إن سؤال التخفيف في القضاء دون إزالته هو تضييق لرحمة الله . (من كتاب تنبيهات شرعية) .

* * *

مسائل تتعلق بمباحث الدين

(١) في مسمى الإيمان :

الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح ، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة وقد خالفهم في ذلك بعض الطوائف ، فذهبت الكرامية والمرجئة إلى أن الإيمان ما يقوم باللسان فقط وقالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب ، وذهبت الجهمية إلى أن الإيمان ما يقوم بالقلب فقط . وكلاهما قد ضل الطريق فإنهم أدخلوا - بمعتقدهم الفاسد هذا - المنافقين في دائرة الإيمان على مذهب الكرامية لأنهم نطقوا بالإيمان ، وإن كانوا يبطنون الكفر .

وأما على مذهب الجهمية فإنهم أدخلوا فرعون وأهل الكتاب بل وإبليس في دائرة الإيمان لأنهم عرفوا بقلوبهم وإن كان لم ينطقوا بذلك ، وهذا ضلال مبين وزيغ عن الحق ، فنسأل الله السلامة .

وأما الخوارج فقد وافقوا أهل السنة في تعريفهم الإيمان إلا أن الخلاف بينهم وبين أهل السنة أن الخوارج جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا يستلزم من زوال بعضه زوال كله ، وعلى مذهبهم ذلك أن من ترك عملًا واحدًا من الأعمال انتزع منه الإيمان كله .

وأما أهل السنة فالأعمال عندهم شعب كما ورد في الحديث ، وبعض هذه الشعب يزول الإيمان بزوالها كالشهادتين ، وبعضها لا يزول بزوالها كإماطة الأذى عن الطريق ، والمعتبر في ذلك الأدلة الشرعية . فإذا ورد الدليل على كفر من ترك عملًا ما ، حكمنا بذلك بكفره بعد إقامة الحجة ، وتحقق الشروط ، وانتفاء الموانع .

* * *

(٢) الإيمان يزيد وينقص :

أي يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، والأُدلة على ذلك :

أولًا : من القرآن :

قال تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْۗ ﴾ [الفتح : ٤] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد : ١٧] وغير ذلك من الآيات .

ثانيًا : من السنة :

قال الترمذي : باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان ، ثم ساق حديث النبي ﷺ : « إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا »[١] .

ومن الأدلة كذلك : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « رأيت الناس وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما دون ذلك وعرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا : فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال : الدين »[٢] .

ثالثًا : من الآثار :

قال معاذ بن جبل لرجل : « اجلس بنا نؤمن ساعة »[٣] .

وقال عمار : « ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الإيمان : الإنصاف من نفسه ، الإنفاق من الإقتار ، وبذل السلام للعالم »[٤] .

* * *

---

(١) الترمذي (١١٦٢) ، وأبو داود (٤٦٨٢) ، وأحمد (٢/٢٥٠) .

(٢) البخاري (٢٣) (٣٦٩١) ، ومسلم (٢٣٩٠) .

(٣) البخاري تعليقًا (١/٦٩) ، ووصله ابن أبي شيبة (٦/١٦٤) .

(٤) البخاري تعليقًا (١/١١٣) ، ووصله ابن أبي شيبة (٦/١٧٢) ، والبزار (٤/٢٣٢) .

(٣) تفاضل أهل الإيمان :

وهذا مبني علي ما تقدم ، فإذا كان الإيمان يزيد وينقص فإن أهله متفاضلون .

قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] . فقسم تعالى العباد الناجين إلى :

(١) مقتصدين : وهم الأبرار أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه .

(٢) سابقين بالخيرات : وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفًا مما به بأس .

(٣) ظالمين لأنفسهم : وهم عصاة الموحدين - على أصح الأقوال - الذين ظلموا أنفسهم ولكن ظلم دون ظلم ، لا يخرج من الدين ولا يخلد في النار .

وعلى هذا فأهل الجنة متفاوتون في الدرجات كما قال تعالى في سورة الرحمن : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] فوصفهما ثم قال : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] فوصفهما كذلك .

وفي الآيات ما يفيد أن الجنتين الأوليين أفضل من الأخريين من عشرة وجوه ليس هذا موضع ذكرها .

وفي الحديث : « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »[١] .

---

(١) البخاري (٤٨٧٨) (٧٤٤٤) ، ومسلم (١٨٠) .

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله في «معارج القبول»[1] : (والآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين في هذا الباب أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، والمقصود بيان أن الناس متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمان في قلوبهم، متفاضلون فيه بحسب ذلك، فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل. وأدناهم المخلطون من أهل التوحيد.

وبين ذلك مراتب ودرجات لا يحيط بها إلا الله عز وجل الذي خلقهم ورزقهم، وكما يتفاوتون في مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون في أعمال الإيمان الظاهرة، بل والله، يتفاضلون في عمل واحد يعمله كلهم في آن واحد وفي مكان واحد، فإن الجماعة في الصلاة صافُّون كلهم في رأي العين، مستوون في القيام والركوع والسجود، والخفض والرفع، والتكبير والتحميد، والتسبيح والتهليل، والتلاوة وسائر الأذكار والحركات والسكتات، في مسجد واحد، ووقت واحد، وخلف إمام واحد، وبينهم من التفاوت والتفاضل ما لا يحصى.

فهذا قرة عينه في الصلاة يود إطالتها ما دام عمره، وآخر يرى نفسه في ضيق سجن يود انقضاءها في أسرع من طرفة عين، أو يود الخروج منها، بل يندم على الدخول فيها، وهذا يعبد الله على وجه الحضور والمراقبة كأنه يشاهد، وآخر قلبه في الفلوات قد تشعبت به الضيعات وتفرقت به الطرقات حتى إن يدرى ما يقول ولا ما يفعل ولا كم صلى، وهذا ترفع صلاته تتوهج بالنور تخترق السماوات إلى عرش الرحمن عز وجل، وهذا تخرج مظلمة لظلمة صاحبها، وهذا يكتب له أضعافها وأضعاف مضاعفة وهذا يخرج منها وما كتب له إلا نصفها، إلا ربعها، إلا ثمنها، إلا عشرها، وهذا يحضرها صورة ولم يكتب له منها شيء.

وهذا منافق يأتيها رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر؛ هذا والناظر إليهم

---

(١) معارج القبول (٢/٣٤٠).

مستوين في فعلها ، ولو كشف له الحجاب لرأى من الفرقان ما لا يقدر قدره إلا الله الرقيب على كل نفس بما كسبت ، الذي أحاط بكل شيء علمًا لا تخفى عليه خافية .

وكذلك الجهاد ترى الأمة من الناس يخرجون فيه مع إمام واحد ، ويقاتلون عدوًّا واحدًا ، على دين واحد ، متساوين ظاهرًا في القوى والعدد ، فهذا يقاتل حمية وعصبية ، وهذا يقاتل رياء وسمعة لتعلم شجاعته ويرى مكانه ، وهذا يقاتل للمغنم ليس له هم غيره ، وهذا يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، وذا هو المجاهد في سبيل الله لا لغيره ، وهذا هو الذي يكتب له بكل حركة أو سكون أو نصب أو مخمصة عمل صالح ، وهكذا الزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجميع أعمال الإيمان ، والناس فيها على هذا التفاوت والتفاضل بحسب ما وقر قلوبهم من العلم واليقين ، وعلى ذلك يموتون ، وعليه يبعثون وعلى قدره يقفون في عرق الموقف ، وعلى ذلك الوزن والصحف ، وعلى ذلك تقسم الأنوار على الصراط ، وبحسب ذلك يمرون عليه ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

وبذلك يتسابقون في دخول الجنة وعلى حسبه رفع درجاتهم ، وبقدره تكون مقاعدهم من ربهم تبارك وتعالى في يوم المزيد ، وبمقدار ذلك ممالكهم فيها ، ونعيمهم ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) .

❊ ❊ ❊

(٤) فاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان

فاسق أهل القبلة[١] لا ينفي عنه مطلق الإيمان ، ولا يوصف بالإيمان الكامل ولكن هو مؤمن ناقص الإيمان . فهو فاسق بكبيرته ، مؤمن بأصل إيمانه وقد سمى

---

(١) المقصود بأهل القبلة (أهل الإسلام) .

الشرع الذنوب فسقًا وكفرًا، ولكنه ليس الفسق أو الكفر الأكبر الذي يخرج صاحبه من دائرة الإيمان.

قال النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[1] ومع ذلك فقد أثبت الله لهم الإيمان فقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ فسماهم مؤمنين، وأمر بالإصلاح بينهما ولو بقتال الباغية، ثم لم ينف عنهم أخوة الإيمان فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وعلى هذا فليس كل ما سمى فسقًا أو كفرًا نفاقًا يخرج صاحبه من الملة بل هو فسق دون فسق، وكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، ونفاق دون نفاق.

قال تعالى في بيان الكفر الأكبر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال ﷺ في بيان الكفر الأصغر: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

وقال تعالى في بيان الظلم الأكبر: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال تعالى في بيان الظلم الأصغر: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [الطلاق: ١].

وقال تعالى في بيان الفسق الأكبر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال ﷺ في بيان الفسق الأصغر: «سباب المسلم فسوق».

---

(١) البخاري (٤٨) (٦٠٤٤) (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤).

وقال تعالى في بيان النفاق الأكبر: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال ﷺ في بيان النفاق الأصغر: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»[1].

* * *

(٥) صاحب المعصية لا يخلد في النار وأمره إلى الله:

أي أننا لا نحكم على صاحب معصية بكفر مهما أسرف على نفسه، ولا نقول: إنه مخلد في جهنم، بل أمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء أدخله النار وعاقبه، وذلك لما ثبت في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال - وحوله عصابة من أصحابه: -« بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك»[2].

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله[3]: (إذا عرفت هذا فاعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنة النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاثة طبقات.

---

(١) **البخاري** (٣٤)، **ومسلم** (٥٨).

(٢) **البخاري** (١٨) (٣٨٩٢)، **ومسلم** (١٧٠٩).

(٣) معارج القبول (٣٤٦/٢).

الطبقة الأولى : قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة ولا تمسهم النار أبدًا .

الطبقة الثانية : قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وتكافأت ، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف ، الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة ..

الطبقة الثالثة : قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش ، ومعهم أصل التوحيد : فرجحت سيئاتهم بحسناتهم ، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم .. وهؤلاء الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه) .

* * *

(٦) لا نكفر أحدًا بمعصية ما لم يستحلها :

ورد في العقيدة الطحاوية ما ملخصه :

(اعلم أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت فيه الفتنة والمحنة ، والناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة على طرفين ووسط ، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية .

فطائفة تقول : لا نكفر من أهل القبلة أحدًا فتنفي التكفير نفيًا عامًّا ، مع أن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هم أكفر من اليهود والنصارى ، وبعضهم قد يظهر ذلك حيث يمكنه ، وهم يتظاهرون بالشهادتين ، وفيهم من يظهر إنكار بعض الواجبات أو المحرمات الظاهرة المتواترة ، ولا خلاف في استتابتهم وقتلهم على الكفر إن أصروا .

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأننا لا نكفر أحدًا بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج، فالواجب هو نفي العموم، وليس النفي العام، تناقضه لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب)[1].

وقال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: (ولا نكفر بالمعاصي التي قدمنا ذكرها، وأنها لا توجب كفرًا، والمراد بها الكبائر التي ليست بشرك ولا تستلزمه، ولا تنافي اعتقاد القلب ولا عمله ... ولكن نقول يفسق بفعلها ويقام عليه الحد بارتكابها وينتقص إيمانه بقدر ما تجرأ عليه منها، والدليل على فسقه ونقصان إيمانه قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤])[2].

وأما إذا استحل المعصية فإنه يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرم الله ورسوله، ولو لم يعمل به لأنه حينئذ يكون مكذبًا بالكتاب ومكذبًا بالرسول وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع).

* * *

(١) من مختصر الطحاوية للصاوي (ص٢٦).

(٢) معارج القبول (٢/٣٥٨).

(٧) موقف أهل السنة من أصحاب النبي ﷺ :

أهل السنة والجماعة يحبون أصحاب رسول الله ﷺ ولا يناصبون أحدًا منهم العداء ، وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية منهج أهل السنة والجماعة تجاه أصحاب رسول الله ﷺ وذلك في كتابه العقيدة الواسطية فقال :-

(ومن أصول أهل السنة والجماعة : سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلࣰّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفࣱ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] ، وطاعة النبي ﷺ في قوله : « لا تسبوا أصحابي ؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[١] .

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم .

ويفضلون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية - وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل .

ويقدمون المهاجرين على الأنصار .

ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاثمائة عشر وبضعة عشر - اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ[٢] ، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه - وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة- .

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس ، وغيرهم من الصحابة .

---

(١) البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) .

(٢) رواه مسلم (٢٤٩٦) ، وأبو داود (٤٦٥٣) ، والترمذي (٣٨٥٩) .

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنه، كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهما على تقديم أبي بكر وعمر - أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قوم عليًا وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي.

وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يُضلّل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة.

لكن التي يُضلّل فيها مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنه، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء، فهو أضل من حمار أهله).

***

(٨) محبة أهل البيت:

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي»[١].

وقال أيضًا للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي»[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) رواه أحمد (٢٠٧/١)، وفي سنده ضعف، ويكفي في الاستدلال الحديث الذي قبله والحديث الذي بعده.

وقال: «إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[(١)]).

* * *

(٩) موالاة أزواج النبي ﷺ:

ثم استطرد ابن تيمية فقال: (ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية.

والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[(٢)].

ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

* * *

(١٠) موقفهم من الخلاف الواقع بين الصحابة:

ثم قال رحمه الله: (ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون؛ وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة.

---

(١) مسلم (٢٢٧٦)، والترمذي (٣٦٠٦).

(٢) البخاري (٣٧٦٩)، ومسلم (٢٤٣١).

ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم .

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون ، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم .

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه ، أو غفر له بفضل سابقته ، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس ، بشفاعته ، أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه . فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور .

ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح .

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة ، وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء . لا كان ولا يكون مثلهم ، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمهم على الله .

* * *

(١١) منهج أهل السنة في اتباع الرسول ﷺ

ثم من طرق أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ،

تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة »[1] .

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدي محمد ﷺ ، على هدي كل أحد ، ولهذا سُموا أهل الكتاب والسنة ، وسُموا أهل الجماعة ؛ لأن الجماعة هي الإجماع ، وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين ، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين ، وهم يَزِنُون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة ، أو ظاهرة مما له تعلق بالدين .

والإجماع الذي ينضبط : هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشر في الأمة) . انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

وهذا ما يسر الله لي جمعه في هذا السفر؛ تقريبًا لعقائد سلفنا رضي الله عنهم للناس، راجيًا من الله أن يجعله لي ذخرًا يوم المعاد، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يثقل الله به ميزاني.

والحمد لله أولًا وآخرًا ،وصلِّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

عادل بن يوسف العزازي

---

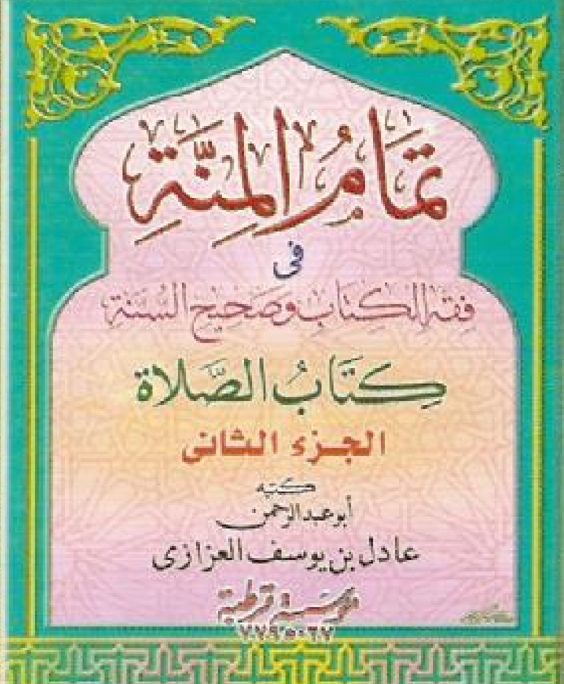
(١) أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٢) ، وأحمد (١٢٦/٤) .

فهرس الموضوعات

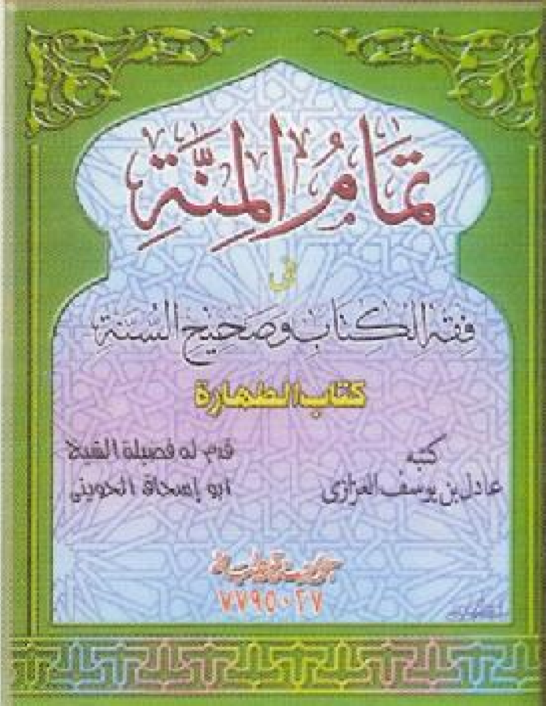
الموضوع **الصفحة**



من مطبوعات مؤسسة قرطبة
للشيخ عادل العزازى
تمام المنة
فى
فقه الكتاب وصحيح السنة
كتاب الصيام
كتبه
ابو عبد الرحمن
عادل بن يوسف العزازى
قدم له فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية
تمام المنة
فى
فقه الكتاب وصحيح السنة
كتاب الزكاة
كتبه
ابو عبد الرحمن
عادل بن يوسف العزازى
مؤسسة قرطبة
٧٧٩٥٠٢٧



تمام المنة
فى
فقه الكتاب وصحيح السنة
كتاب الصلاة
الجزء الثانى
كتبه
أبو عبد الرحمن
عادل بن يوسف العزازى
مؤسسة قرطبة
٧٧٩٥٠٢٧



تمام المنة
فى
فقه الكتاب وصحيح السنة
كتاب الطهارة
كتبه
عادل بن يوسف العزازى
قدم له فضيلة الشيخ
ابو إسحاق الحوينى
مؤسسة قرطبة
٧٧٩٥٠٢٧